سَبِيلُ الحَيْرَانِ

فِي مَعْرِفَةِ فَضْلِ كِتَابِ الرَّحْمَنِ

معاوية بن محمد هكوش

2022 - 1443

سبيل الحيران في معرفة فضل كتاب الرحمن
معاوية بن محمد هكوش

naqsh_ pp
naqsh.pp2
naqsh_ pp1

سَبِيلُ الحِيرَانِ

فِيْ مَعْرِفَةِ فَضْلِ كِتَابِ الرَّحْمَنِ

معاوية بن محمد هكوش

2022 - 1443

الكتاب	سبيل الحيران في معرفة فضل كتاب الرحمن
إعداد	معاوية بن محمد هكوش
الإخراج الفني	دار نقش للطباعة والنشر
حقوق الطباعة والنشر	لكل مسلم ومسلمة
عدد الصفحات	١٣٦
سنة الطباعة	١٤٤٣
الطبعة	الأولى

naqsh_ pp naqsh.pp2 naqsh_ pp1

بسم الله الرحمن الرحيم

إهداء

إلى من قطف الشوك بيديه لتنعم يداي بالورود...

إلى من علمني أن الدنيا كفاح وسلاحها العلم...

إلى الذي لم يدخر جهدا في سبيل سعادتي...

والدي – حفظه الله تعالى –

إلى من نبض قلبها بالدعاء لي...

وكلماتها كبلسم يداويني دوماً...

إلى من يشاركني فرحتي وحزني وهمي وسروري...

إلى نبع العطف والحنان... إلى أجمل ابتسامة في الحياة...

والدتي – حفظها الله تعالى–

إلى أسرتي وإخوتي ورفقاء الدرب وإلى كل من كان عوناً لي.

-حفظهم الله تعالى-

إلى من نوَّر عقلي بالعلم وذهني بالفهم وكانوا لي عوناً في هذا الدرب ومرشدين لي في هذا الطريق...

إلى من لهم فضل علي لن أنساه ما حييت أشياخي ومن تتلمذت على أيديهم جميعاً، جزاهم الله عني خير الجزاء.

إلى كل مسلم ومسلمة، أهديهم عملي هذا وأسأل الله أن ينفعني به وإياهم، هو ولي ذلك والقادر عليه.

وأتوجه بجزيل الشكر لكل من ساهم في إخراج هذا الكتاب وكان سبباً في ذلك وأخص بالشكر دار نقش للطباعة والنشر على جهودهم الطيبة التي قاموا بها في خدمة هذا الكتاب والجهود التي يبذلونها في خدمة الكتب الشرعية فجزاهم الله عنا خير الجزاء وتقبل منهم.

والحمد لله رب العالمين

فهرس المحتويات

تقديم الشيخ أيمن عبد الحميد خطاب 11

المُقَدِّمَة 13

المقصود بفضائل القرآن الكريم 19

أهم المؤلفات في فضائل القرآن الكريم 27

ثمرة معرفة فضائل القرآن الكريم 34

بعض الآيات التي جاءت في وصف القرآن الكريم 39

الأحاديث التي وردت في فضل القرآن الكريم 54

بيان عظمة القرآن الكريم 64

تمهيد: 64

أولاً: فضل القرآن على سائر الكتب 66

ثانياً: كونه المعجزة الخالدة لهذه الأمة 72

ثالثاً: ومن أوجه عظمة القرآن الكريم شموليته 75

فضل تلاوة القرآن الكريم 82

أهل القرآن وفضلهم 90

لزوم التّمسك بالقرآن الكريم واتّباع هديه 96

من مظاهر التمسك بالقرآن الكريم 103

أولاً: الإيمان به 103

ثانياً: العمل به 106

ثالثاً: قراءته وتدبره 107

رابعاً: حفظه 110

خامساً: احترامه وتوقيره، والخشوع والإنصات عند سماع القرآن الكريم 113

سادساً: الدعوة إليه 116

سابعاً: الالتزام بمنهجه 118

ثامناً: التخلق بأخلاقه 121

الخاتمة 124

المصادر والمراجع 127

تقديم الشيخ أيمن عبد الحميد خطاب

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن ولاه.

أما بعد:

لقد أكرمني الله سبحانه وتعالى بالاطلاع على كتاب حبيبنا وأخينا معاوية حفظه الله عزوجل، كتابه الموسوم: بـ **"سبيل الحيران في معرفة فضل كتاب الرحمن"** ولقد قرأته قراءة دارس، فوجدته كتاباً قيّماً ونفيساً بحسب متعلقه، فهو يتعلق بأشرف الكتب المنزل على أشرف رسول بأشرف لغة عن طريق أشرف الملائكة بأشرف بقعة في أشرف زمان ومكان، وليس بالطويل

وليس بالقصير المخل، مناسب لأن يقرأ في المعاهد والحلقات القرآنية، وشكراً للشيخ معاوية الذي كان سبباً في اطلاعي على هذا الكتاب، وحسن ظنه بي أن أكتب له تقريظاً ولست له بأهل، لكن امتثالاً لطلبه أجبته على ما أراد والله الموفق.

أسأل الله العظيم أن يجعلنا للجنة أهلًا وأن يرزقنا فيها الفردوس الأعلى، وألا يجعل في نياتنا دخلًا، إنه ولي ذلك والقادر عليه، وهو العلي الأعلى، وصلى الله على نبينا محمد كلما أضاء نهارٌ أو ليلٌ تجلى.

كتبه: الفقير أيمن عبد الحميد خطاب في يوم الأحد

الموافق لـ 22 / جمادى الأولى / 1443 للهجرة

26 / 12 / 2021 م

المُقَدِّمَة

الحمد لله الّذي أنزل إلينا كتابه الكريم، المبارك العظيم، وجعله أفضل الكتب وأعظمها، وأكثرها بركة وأكرمها، وأرسل إلينا أفضل رسله محمّد بن عبد الله صلّى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلّم أكرمَ الناس نسبًا، وأزكاهم نفسًا وأطهرَهم قلبًا، وجعل شريعته أحسن الشّرائع وأكملها وأعظمها، وجعل أمَّته خيرَ أمَّةٍ أُخرجت للناس، وأنزل إليه كتابه الكريم في خير ليلة، وفي أشرف بقعة، وبواسطة أشرف الملائكة، فاختار لكتابه الكريم

من كلِّ شيء أحسنه وأشرفه وأكرمه، فاجتمعت له محاسن الفضائل وأشرف الخصائص.

أما بعد: فإنّ أصدق الحديث كتاب الله تعالى، وخيرَ الهدي هدي محمّد ﷺ، وشرَّ الأمور محدثاتها، وكلَّ محدثة بدعة، وكلَّ بدعة ضلالة، وكلَّ ضلالة في النّار.

إن الله تعالى أكرم هذه الأمّة بالقرآن الكريم، الذي هو عزّها ومداد قوتها، وشرف عظيم لبيان هويّتها، فإنّ القرآن الكريم هو كلام الله المحفوظ بحفظه سبحانه على مرّ الدّهور واختلاف العصور في الصّدور والسّطور، فقد جاهد الرّعيل الأوّل في حفظه وكتابته وجمعه ونسخه ليصل إلينا محفوظًا من التّحريف والتّغيير بمعونة الله ومشيئته.

ونحن في هذا الزمان أحوج ما نكون لهذا القرآن؛ لما فيه من شفاءٍ للصّدور من الشّهوات والشّبهات، وفيه ما يبيِّن الحقّ من الباطل، وفيه من الحكمة والموعظة الحسنة بالتّرغيب، والتّرهيب، والقصص الّتي فيها من العِبَرِ ما يوجب صلاح القلب المتفكّر، فيرغب القلب بإقباله عليه فيما ينفعه وينتهي عمّا يضرّه، ولمقاومة الهجمة الّتي يتعرّض لها دين المسلمين وكتابهم، ولمواجهة الدّعوة الضّالّة إلى مساواة القرآن الكريم بالكتب المحرّفة عند اليهود والنّصارى تحت شعار ما يسمّى بوحدة الأديان!!

فينبغي إظهار محاسن القرآن الكريم ومزاياه وفضله على غيره، والحاجة إلى هذا في عصرنا الحاضر أشدّ، وأيضاً لمعرفة طرق التّعرّف على فضائل القرآن الكريم، والسّبيل إلى الوصول إليها.

وإنّ أحقَّ ما توهب له الأعمار كتاب الله، ومن أوجب الواجبات الملقاة على أهل العلم وأهل القرآن خاصّة تبيان فوائد وفضائل القرآن ونشرها لعموم النّاس؛ لتعرف فضائله وخصائصه على غيره، ولكيلا يزهد به أهله.

ولقد نظرت في الكتب التي تحدثت عن فضائل القرآن الكريم فوجدت طولاً واستطراداً في بعض منها تارة، ووجود بعض الأحاديث الضعيفة بل الموضوعة في بعض منها تارة، مما يصعب على القارئ المبتدئ في الطريق أن يقرأ فيها، بل ويزهد الكثير من الناس في القراءة في هذا الباب.

فلم أذكر إلا ما صح عن النبي صلى الله عليه وتجنبت الإطالة خشية الملل، وأصل فكرة هذه الرسالة جاءت اختصاراً وتهذيباً

لبعض العناوين من كتابَيْ "بيان فضـــائل القرآن" لعبد العزيز المطيري و"فضـائل القرآن الكريم" لعبد السـلام بن صـالح بن سليمان الجار الله، وأضفت عليها عناوين أخرى لم ترد فيهما.

ولقد بذلت وسـعي في هذه الورقات، فما كان من صـواب فهو محض فضل ومِنَّةٍ منه سبحانه وتعالى، وإن كانت الأخرى فرحمة الله ومغفرته وسعت كل شيء.

ولعل ما في هذا الكتاب يكون حافزاً لحافظ القرآن الكريم أن يراجعه ويتعاهده بالحفظ والتثبيت، ولغير الحافظ أن يعزم على حفظه وتعاهده وتلاوته وتدبره.

وحريٌّ بحلقات القرآن ومعاهد العلم الشـــــرعي أن يُقرِئوه للطلبة ويناوِلوهم إياه، لتكون خير بداية لهم مع القرآن الكريم بأن يعرفوا شيئاً من فضائله، وأجر تلاوته، ومنزلة أهله.

أسأله سبحانه وتعالى وهو أكرم مسؤول أن يبارك لي هذا الكتاب ويكتب له القبول بين الناس وأن يجعله شـفيعاً لي يوم القيامة، وقائداً إلى جنةٍ عرضها السماوات والأرض.

والحمد الله الذي بنعمته تتم الصالحات

كتبه معاوية بن محمد هكوش

المقصود بفضائل القرآن الكريم

تمهيد:

إنَّ القرآن الكريم هو كلام الله الذي أنزله على نبيه محمد ﷺ، ليخرج الناس من الظلمات إلى النور بإذن ربهم إلى صراط العزيز الحميد.

ويستمد القرآن الكريم مجده وعلوَّ شأنه ورفعته من عظمة وجلال الله تبارك وتعالى.

والقرآن الكريم كتاب هداية يهتدي به من قرأه وحفظه وتدبر معانيه واتعظ بما فيه، فتلزمه بذلك الحجة، وفي الحديث "القرآن حجة لك أو عليك".

وهو أصل الدين ومصدر التشـــريع ومنبع الصـــراط المستقيم، ومعجزة النبي ﷺ العظمى، وآياته الباقية على وجه الدهر.

وأنزله الله تعالى ليكون دستوراً للأمَّة، تُحكِّمه في كل شؤونها، في عقيدتها وعبادتها ومعاملاتها واقتصـادها وسـياسـتها، من تركه من جبّار قصمه الله، ومن ابتغى الهدى في غيره أضله الله.

وهو معجز في معانيه التي كشـفت السّـتار عن الحقيقة الإنسـانية ورسـالتها في الوجود، والإعجاز لسـائر الأمم على مر العصـور، يظل ولايزال في موقف التحدي شـامخًا وثابتًا، فأسرار الكون

التي يكشف عنها العلم الحديث ماهي إلا مظاهر للحقيقة العليا التي ينطوي عليها سر هذا الوجود في خالقه ومدبره، وهو ما جَمَله القرآن وأشار إليه، فصار القرآن بهذا معجزة للإنسانية كافّة.

تعريف الفضائل لغةً واصطلاحا

الفضائل لغة: من أوزان جموع الكثرة "فعائل" ومفردها "فضيلة"، وأصلها "فَضَلَ": وتدل على الزّيادة في الشيء، والفضل الزيادةُ، يقال: فَضُلَ الشّيء في نفسه إذا زاد، فالفضل ضد النّقص، والفضيلة ضد النّقيصة في المعنى اللغوي[1].

(1) (معجم مقاييس اللغة (508/4)" فضل" /الفروق اللغوية (ص160) /جمهرة اللغة (907/2) / الصحاح(1791/5) " فضل".

الفضـائل اصـطلاحًا: هي الدّرجة الرفيعة من الفضـل، وقيل: الدّرجة السّامية في الفضل[1].

تعريف القرآن لغةً واصطلاحا

القرآن لغةً: للعلماء في تعريف القرآن لغةً وفي أصل الكلمة أقوال ومذاهب:

فطائفة قالت: بعدم اشتقاق الكلمة، وأنّها اسم علم على الكتاب المنزَّل على النبي ﷺ، ومنهم الإمام الشافعي[2].

(1) (تهذيب اللغة (39/12) "فضل" /البستان للبستاني (1827/2) "فضلل".

(2) (مناقب الشافعي للبيهقي (277/1)/تهذيب اللغة (271/8) "قرأ" / البرهان في علوم القرآن (374/1).

وطائفة قالت: باشـتقاق الكلمة، وهو قول أكثر العلماء، لكنّهم اختلفوا في الأصـل الذي اشـتُقّت منه على أقوال أظهرها –وهو قول الأكثر– أن القرآن يرجع إلى مادة "قرأ" بالهمز وتعني: تلا معنى التلاوة، فهو من باب تسمية المفعول بالمصدر[1].

وقيل: إنَّ الأصل الذي يرجع إليه لفظ القرآن هو "قرن" ومعناه جَمَعَ وضَمَّ من قول العرب: قرنتُ الشـيء بالشـيء، إذا جمعته وضـممت بعضـه على بعض، ووجه تسـمية القرآن بهذا المعنى جَمْعُ السور والآيات وضَمُّ بعضها إلى بعض[2].

---

(1) (جامع البيان عن تأويل آي القرآن ،المعروف بتفسير الطبري (42/1)/ مفردات ألفاظ القرآن(ص668) / الإتقان (1/ 68).

(2) (الصـحاح (65/1) "قرأ"/ مجاز القرآن (1/ 1-18)/ البرهان (373/1) / الإتقان(68/1).

وقيل: إنَّ الأصـــل الذي يرجع إليه القرآن هو "القرائن"؛ لأنَّ القرآن يصدّق بعضه بعضًا، ويشبه بعضه بعضًا [1].

تعريف القرآن الكريم اصطلاحًا:

إذا أطلق القرآن الكريم، فإنّه ينصرـــف إلى هذا الكتاب المعظّم، وعند النظر في كتب العقيدة وعلوم القرآن والفقه نجد تفاوتًا في ذكر الحدود والأوصاف، فهي بين موجز ومتوسط ومطنب، غير أن مقصودها في ذلك واحد، وهو تمييز القرآن عمَّا يُظن مشاركته له.

(1) (الإتقان (1/ 68) نسبه للفراء).

وسنأخذ تعريفًا متوسطًا بين الإيجاز والإطناب شاملًا لأكثر المحترَزات التي ذكرها العلماء في تعريف القرآن، فيقال:

القرآن: **هو كلام الله المنزّل على الرسول محمد ﷺ بواسطة جبريل عليه السلام المنقول بالتواتر المتعبد بتلاوته**[1].

تعريف فضائل القرآن الكريم باعتبار الإضافة

فضائل القرآن الكريم:

هي بيان ما جاء في شرف القرآن وما يتعلّق به، وإظهار مزايا سوره وآياته، ومنافعها الدنيويّة والأخرويّة.

---

(1) شرح العقيدة الطحاوية (129)/ محمد دراز في النبأ العظيم (ص14) /قريب من هذا التعريف الذي ذكره الزرقاني في مناهل العرفان (1 /13) / فضائل القرآن الكريم، لعبد السلام بن صالح بن سليمان (ص35)

فيدخل بذلك جميع ما جاء في الكتاب والسُّنة، وجميع ما جاء عن الصحابة والتّابعين مما ينقله المؤلفون في فضائل القرآن، وجميع ما يتعلق بالقرآن الكريم من فضل أهله وحَمَلته وفضل قراءته وتلاوته واستماعه وحفظه وغير ذلك [1].

(1) (فضائل القرآن الكريم، د. عبد السلام بن صالح بن سليمان (ص42).

أهم المؤلفات في فضائل القرآن الكريم

إنَّ فضـائل القرآن الكريم في بداية تدوينها كانت مبثوثة في كتب التّفسـير والحديث، ثمّ جرد لها العلماء كتبًا مسـتقلة، ولقد نشـأ التّـأليف في فضـــائل القرآن الكريم في عهـدٍ مبكّرٍ، ولا يزال التّأليف فيه إلى عصـــرنا الحاضر، ولم يخلُ عصـــرٌ من العصور الإسلاميّة من عدة مؤلفات كتبت في هذا الموضوع، وهذا الباب واسـع كبير ألّف فيه العلماء كتبًا كثيرة، وقد أحصـاها بعضـهم

وأوصـــل عدد المؤلفات في هذا الفن إلى ثلاثة وخمســين ومائة [153].

إن أقدم مخطوط وصل إلينا ومقطوع نسبته وصحته إلى مؤلفه في فضائل القرآن، كتاب "فضائل القرآن ومعالمه وآدابه" لأبي عبيدٍ القاسم بن سلّام ت (224) هـــ، وهو من أجلّ كتب الفضائل، ويعد عمدة في فضائل القرآن، ويمتاز بشموليته لموضوع فضائل القرآن.

ومن أهم الكتب المطبوعة في فضائل القرآن وأشهرها:

- فضائل القرآن لسعيدِ بن منصورٍ الخراساني، وهو كتاب كبير من سننه. ت (227هـ).
- فضائل القرآن، لمحمد بن أَيوب ابن الضُّريس ت (294 هـ).

- فضـــائل القرآن، لأبي بكر جعفر بن محمد الفريابي ت (301 هـ).
- فضائل القرآن، للحافظ جعفر بن محمد المستغفري ت (432 هـ).
- فضـــائل القرآن وتلاوتِه، لأبي الفضـــل عبد الرحمن بن أحمد الرازي ت (454 هـ).
- فضـــائل القرآن العظيم وثواب من تعلمه وعلمه وما أعد الله عز وجل لتاليه في الجنان، لضـــياء الدين أبو عبد الله محمد بن عبد الواحد المقدسي ت (643هـ).
- الإجلال والتعظيم في فضـــائل القرآن الكريم، وهو جزء كبير من كتابه جمالُ القرّاء وكمالُ الإقراء، لعلي بن محمد بن عبد

الصمد الهمداني المصري الشافعي، أبو الحسن، علم الدين السخاوي ت (643هـ).

- قاعدة في فضائل القرآن، لأبي العباس أحمد بنُ عبد الحليم بنِ عبد السلام بن تيمية النميريُّ الحرانيّ ت (728هـ).
- مورد الظمآن على معرفة فضائل القرآن، لزين الدين عبد الرحمن بن أحمد بن رجب الدمشقي، الحنبلي ت (795هـ).
- فضائل القرآن الكريم، لعبد السلام بن صالح بن سليمان الجار الله (معاصر).

تنبيه مهم:

عند ذكر المؤلفات التي أُلِّفت في هذا الباب وجب التنبيه إلى أنَّ كثيرًا من الكتب التي كُتِبت عن فضائل القرآن وفضائل السور

تحتوي على كثيرٍ من الأحاديث الضعيفة بل بعضها يصل إلى درجة الموضوع كما فعله الثعالبي حين وضع أحاديث عن فضائل كل سورة وغيره، فلذلك يجب التحرز من الراوية عن هذه الكتب والتثبت منها بحكم على المرويات فيها من أحد الأئمة المتقنين وأحد النقاد في علم الحديث إذ لا يخلو لهم كلام عليها وأحكامهم مبثوثة منشورة في كتب السّنة من تصحيح أو تحسين أو تضعيف على الأحاديث المروية ولله الحمد والفضل.

وأيضاً إن أغلب المؤلفات التي ألفت في الفضائل تميل إلى طريقة المتقدمين في التأليف فتذكر الباب ثم يبدأ المؤلف مباشر بذكر الأحاديث بأسانيدها الواردة فيه دون أن يسبقه بأي كلام له أو شرح وإذا أضاف بعضهم ذكر بعض الآثار عن بعض الصحابة والتابعين وقد يُلحِق بعضهم الحديث بشيء من التعليق

المختصـــــر، والتنبيه إلى ذلك مهم هنا كي يعلم الباحث في هذا الباب طريقة أهل الصّـنعة في الكتابة فيه، ولا يعني ذلك أن كل ما كُتِب في فضـائل القرآن كذلك ولكن الغالب على ما دُوِّن وجُمِع كُتِب بهذه الطريقة.

ومن أراد التّأصـيل في هذا الباب ومعرفة كافة أبواب والاطلاع عليها الاطلاع الوافي، فحسـبه بالكتاب العمدة في الباب كما أسلفنا الحديث عنه لأبي عبيد القاسم بن سلام "فضائل القرآن الكريم" وكتاب فضائل القرآن الكريم، لعبد السلام بن صالح بن سـليمان الجار الله وهي رسـالة جامعية بطريقة منهجية علمية رصـينة جامعة، ففيها تحرير للأقوال وبسـط للمسـائل من غير تطويل ولا إيجاز.

وأســأل الله أن يجد القارئ في هذه الورقات ضــالّته ويحقق بها مراده وأن تكون ســبباً لعدم تركه كتاب الله في حياته كلها، والاقتداء به وبسنة النبي المصطفى صلوات ربي وسلامه عليه، وسبباً للبدء في مشروع العمر وهو حفظ القرآن الكريم، لأن من حفظه "فَقَدْ حَمَلَ أَمْرًا عَظِيمًا، وَقَدِ اسْــتُدْرِجَتِ النُّبُوَّةُ بَيْنَ جَنْبَيْهِ، إِلَّا أَنَّهُ لَا يُوحَى إِلَيْهِ"[1].

(1) رواه أبو عبيد القاسم بن سلام بإسناده عن عبد الله بن عمرو بن العاص الصحابي الجليل رضي الله عنه، فضائل القرآن للقاسم بن سلام (ص: 113).

ثمرة معرفة فضائل القرآن الكريم

إنَّ معرفة فضـــائل القرآن الكريم لها ثمرات جليلة، وعواقب حميدة، يُسرُّ بها رفيق القرآن الكريم في الدنيا والآخرة.

ومن أعظم هذه الثمرات:

ـ أنها تبصّـر المؤمن بأوجه فضائل القرآن وعظمة شأنه، فيعظّمه ويعظّم هداه ويرعى حرمته ويعرف قدره، وهذا أصـــل مهم في توقير القرآن وتعظيمه.

ـ أنها تُكسِب المؤمن اليقين بصحّة منهجه؛ لأنه مبني على هدى القرآن، وقد تعرّف من دلائله وفضائله على ما يزيده طمأنينة بالحقّ الذي معه، ففي بصائر القرآن وهداياته ونوره ما يضيء الطريق للسالكين، ويكشف شبهات المضلّين، ويفنّد مزاعم المفسدين، ويجعل لصاحبه فرقانًا يميّز به الحق من الباطل، والهدى من الضلالة، وأولياء الرحمن من أولياء الشيطان، فيجد في القرآن من أنواع التبصير والتثبيت ما يطمئنُّ به، كما قال الله تعالى: ﴿فَاسْتَمْسِكْ بِالَّذِي أُوحِيَ إِلَيْكَ إِنَّكَ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ {سورة الزخرف 43}.

وقال تعالى: ﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَقُصُّ عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَكْثَرَ الَّذِي هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ * وَإِنَّهُ لَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ * إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِي

بَيْنَهُمْ بِحُكْمِهِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْعَلِيمُ* فَتَوَكَّلْ عَلَى اللهِ إِنَّكَ عَلَى الْحَقِّ الْمُبِينِ﴾ {النمل: 77 – 79}.

ـ أنها ترغب المؤمن في مصاحبة القرآن؛ بالإيمان به واتّباع هداه الاستكثار من تلاوته والتفقّه فيه، والدعوة إليه، وتعليمه.

ـ أنها تدحض كيد الشيطان في التثبيط عن تلاوته والانتفاع به؛ فكلما ضعفت النفس ووهن عزمها ذكّرها بفضائل القرآن، فاشتدت العزيمة وعلت الهمّة وشمّرت تشمير المجتهدين؛ ليدرك نصيبه من الفضل العظيم.

ـ أنها تحصّن المؤمن من طلب منهلٍ للعلم والمعرفة يخالف منهج القرآن، ولاسيّما إذا عرف معاني صفات القرآن، وأدرك حقائقها

وآثارها، فإنّه يتبيّن خسارة صفقة من استبدل به غيره، وحرمان من اشتغل بغيره.

ـ أنها سبب لنجاة المؤمن من مضلات الفتن، فإنّه من أدرك تلك الفضائل ورسخت معرفتها في قلبه، عرف أنه لا بدّ أن يصدّر في كل شأن من شؤونه عن هدي القرآن الذي من اعتصم به عُصم من الضلالة.

ـ أنّها تفيده علماً من أشرف العلوم وأعظمها بركة، فالتفقّه في فضائل القرآن على طريقة أهل العلم من أعظم أوجه إعداد العُدة للدعوة إلى الله تعالى، والترغيب في تلاوة كتابه، واتّباع هداه؛ فإنّه يجتمع للدارس في هذا العلم من تفسير الآيات المتعلّقة بفضائل القرآن، ومعرفة دلالاتها على أوجه فضائله،

ومعرفة الأحاديث والآثار المروية في هذا العلم الجليل، وما ينتخبه من أقوال العلماء في بيان فضله ما يستعدّ به للدعوة إلى الله على بصيرة، فقد يكون بكلمة واحدة سبباً في إقبال قلب مسلم على تلاوة القرآن وحفظه، وسبباً في ازدياد آخرين من تلاوته، وسبباً في عناية آخرين بهذا العلم وتعلّمه وتعليمه و الدعوة به إلى الله تعالى، بل ربّما كان سبباً في إسلام أناس كانوا على الكفر، فخرجوا من الظلمات إلى النور بحسن ترغيبه وتعريفه بكتاب ربّه جلّ وعلا، فيكتسب -بفضل الله تعالى- من أنواع الأجور العظيمة مالم يكن يخطر له على بال، **ولذلك اعتنى كثير من العلماء بالتأليف في فضائل القرآن الكريم**[1].

(1) (بيان فضل القرآن الكريم، عبد العزيز بن داخل المطيري، ص10).

بعض الآيات التي جاءت في وصف القرآن الكريم

لقد سبق ذكر تعريف القرآن الكريم بأنه كلام الله؛ وكلامه سبحانه صفة من صفاته سبحانه، وصفات الله تعالى لها آثارها التي لا تتخلّف عنها؛ وهو العليم الحكيم، والرّحمن الرّحيم، والعليّ العظيم، والحميد المجيد، والواسع المحيط، والحقّ المبين إلى غير ذلك من أسمائه وصفاته العليا التي من تفكّر فيها وآمن بها وأدرك أن لها آثاراً تتجلى في كلامه جلّ وعلا، وأن من تفكر بها وتأملها حقّاً لابد أن تصل به إلى درجة الإحسان ومنزلة

اليقين فتتجلى آثارها عملية في حياته على دينه ودنياه فيعيش جنة الدنيا قبل جنة الآخرة[1].

وقد قال جماعة من السلف: فضل القرآن على سائر الكلام كفضل الله على خلقه، حكي عن أبي عبد الرحمن السلمي وغيره[2].

ورُوي مرفوعًا من حديث أبي هريرة وأبي سعيد الخدري ولا يصح، لكنّه دالٌّ على معنى صحيح في نفسه، وهو أنّ صفات كل موصوف بحسبه، فكلام البشر يكون مبلغهم فيه علمهم وقدرتهم وبيانهم، ويكون فيه من النقص والضعف والخطأ ما يتناسب مع صفاتهم، وكلام الله تعالى عن علمٍ تامٍّ وقدرةٍ لا

(1) خلق أفعال العباد (1/ 41) / الفصل للوصل المدرج (1/ 256).
(2) خلق أفعال العباد (1/ 41) / الفصل للوصل المدرج (1/ 256).

يُعجزها شيء وإحاطةٍ بكلّ شيء، وكلامهُ حكمةٌ بالغةٌ، ورحمةٌ سابغةٌ، وحقٌّ لا يعتريه باطلٌ، وبيانٌ لا اختلاف فيه، وقد قال تعالى في كتابه الكريم ﴿وَلَقَدْ جِئْنَاهُمْ بِكِتَابٍ فَصَّلْنَاهُ عَلَى عِلْمٍ هُدًى وَرَحْمَةً لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ {سورة الأعراف 52}.

لذلك قال ابن عطيةَ في مقدّمة تفسيره: **(كتاب الله لو نُزِعَت منه لفظةٌ ثم أديرَ لسانُ العربِ في أن يوجدَ أحسنَ منها لم يوجد)**[1].

إن الله تعالى وَصَفَ القرآن العظيم بصفاتٍ جليلةٍ ذات معانٍ عظيمة وآثارٍ مباركةٍ لا تتخلّف عنها، وهي أوصاف من عليم خبير؛ لذلك كان التفكّر فيما وَصَفَ الله به كتابه من تلك

(1) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (1/ 52).

الصـفات الجليلة وتأمُّلُ آثارها ودلائلها من أخصِّ أبواب الانتفاع بالقرآن.

وصـفاته كثيرة جليلة، جامعة لمعانٍ عظيمة، فوصـفه الله تبارك وتعالى بأنه عليٌّ حكيم ومجيد وكريم وعزيز وعظيم ومبارك وقيّم وأنّه ذِكر وذكرى وهدى وبشـــرى وتذكرة وموعظة وبصـائر ورحمة ونور وبيان وشفاء وفرقان إلى غير ذلك من صفاته الجليلة العظيمة.

فقد جاء وصـف القرآن الكريم بالعديد من الآيات التي تدلّ على فضـله وعظمته وشرفه، منها: قوله تعالى: ﴿وَإِنَّهُ فِي أُمِّ الْكِتَابِ لَدَيْنَا لَعَلِيٌّ حَكِيمٌ﴾ {سورة الزخرف 4}.

ووصفُه سبحانه بأنه عليّ دالٌّ على علوّ قدر هذا الكتاب العظيم وعلوّ منزلته وعلوّ صفاته وتنزهه عن الباطل، ووصفُه بالحكيم دالٌّ على أنّه محكم لا اختلاف ولا تناقض، حاكم على الناس في جميع شؤونهم ذو حكمة بالغة، وهذا الوصف له ما يقتضيه؛ فقد "بيَّن شرفه في الملأ الأعلى ليشرفه ويعظمه ويطيعه أهل الأرض"[1].

وقال تعالى في وصفه: ﴿بَلْ هُوَ قُرْآنٌ مَجِيدٌ فِي لَوْحٍ مَحْفُوظٍ﴾ {سورة البروج 21-22}.

وصفه بالمجيد سبحانه، وهذا الوصف العظيم يعني أنّه الكتاب الممجد الذي له صفات المجد والعظمة والجلال التي لا يدانيها

(1) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (1/ 52).

أي كلام، المتنزّه عما يقوله الجاهلون مما لا يليق به كدعوى بعض الكفار أنّه سحر أو شعر أو من كلام البشر، وهذا لأنهم لم يتدبّروا معانيه العظام ولم يتفكروا فيها...

وهذا الوصف بالمجيد يدل على أن كل صفة عظيمة يوصف بها القرآن هي من دلائل مجده.

ومنها: قوله تعالى: ﴿وَإِنَّهُ لَكِتَابٌ عَزِيزٌ﴾ {سورة فصلت 41}.

وأمّا وصفه بأنّه عزيز، فهو عزيز القدر، فهو أفضل الكلام وأحسنه، يعلو ولا يُعْلى عليه، ويحكُم ولا يُحكَم عليه، وعزيز الغلبة فحجته غالبة دامغة لكل باطل، وحجج القرآن أحسن الحجج وأبينها وأبعدها عن التكليف والتعقيد، وأقربها إلى الفطرة الصحيحة والعقل الصريح، وأعظمها ثمرة وفائدة، من

عَقِلَها تَبيَّن سُبُلَ الهدى واستبانت له سبل الضالّين، ومن حاجّ بها غَلب، ومن غالبها غُلب، ومِن عزةِ غلَبَتِهِ أنه غلب فصحاء العرب وأساطين البلاغة فلم يقدروا على أن يأتوا بمثله ولو بمثل سورة واحدة منه.

وقد تحدى الله المشركين الذين يزعمون أنه من أساطير الأولين وأنه قول البشر أن يأتوا بسورة من مثله فلم يستطيعوا ولن يستطيعوا.

قال تعالى: ﴿قُلْ لَئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا﴾ {سورة الإسراء 88}.

ومن عزته الامتناع عن التحريف والزيادة فيه؛ فالله تعالى أعزّه وحفظه حفظاً تاماً من وقت نزوله إلى حين قبضه في آخر الزمان، كما قال تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ {سورة الحجر 9}.

فلا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، ولا تستطيعه الشياطين، ولا يمكن لكائد مهما بلغ كيده أن يبدله أو يحرفه أو يزيد فيه أو ينقص منه شيئاً، ولا يصيبه تبديل ولا تغيير.

ومنها قوله تعالى في وصف القرآن: ﴿قُلْ هُوَ نَبَأٌ عَظِيمٌ﴾ {سورة ص 67}.

قال مجاهد والأكثرون يعني: القرآن[1].

وأما وصفه بأنه عظيم؛ فيتضمن عظمة قدره وصفاته، فالقرآن عظيم في الدنيا والآخرة...

وتتبين عظمته في الدنيا من وجوه:

- وأجلّها: أنه كلام الله تعالى.
- وإقسام الله تعالى به وكثرة أسمائه وصفاته الموصوف بها.
- وأنه حاكم على ما قبله من الكتب وناسخ لها ومهيمن عليها.
- وأنه فرقان بين الهدى والضلالة والحق الباطل ويهدي للتي هي أقوم.

---

(1) تفسير البغوي (4/ 436).

- وأنه مصدر الأحكام الشرعية التي به قيام مصالح العباد وإليها يتحاكمون في فض منازعاتهم وحل مشكلاتهم ومعضلاتهم.

وأما ما يدل على عظمته في الآخرة؛ أنه يظل صاحبه في الموقف العظيم، ويشهد له ويحاجّ عنه:

فعن أبي أُمامَةَ الْباهِلِيِّ قال سمعت رسُولَ اللهِ ﷺ يقول: (اقرأوا الزّهْراوَيْنِ *الْبقَرَةَ وسُورَةَ آلِ عِمْرانَ* فإِنَّهُمَا تأْتِيَانِ يوم الْقِيامَةِ كأَنَّهُمَا غمَامَتَانِ أو كأَنَّهُمَا فِرْقانِ من طيْرٍ صوَافَّ تُحاجَّانِ عن أَصْحَابِهِمَا)[1].

(1) صحيح مسلم برقم 804 / (1/ 553) / السنن الكبرى للبيهقي - ت التركي (5/ 30).

وأنه شافع مشفع:

وعنه ﷺ أنه قال: **(اقرأوا الْقرْآنَ فإنه يأْتِي يوم الْقِيامَةِ شـفِيعًا لِأَصْحَابِهِ)**[1].

وأنه يرفع صاحبه درجات كثيرة:

عن عبد الله بن عمرو قال: قال رسول الله ﷺ: (يقَالُ لصَاحِبِ الْقرْآنِ اقرَأْ وَارتَقِ وَرَتِّلْ كما كنْتَ ترَتِّلُ في الدّنْيَا فإن مَنْزلَكَ عنْدَ آخرِ آيةٍ تَقْرَؤهَا)[2].

وأنه يثقل موازين أصحابه بكثرة ما يجدون من ثواب تلاوته:

(1) صحيح مسلم، الحديث السابق.
(2) سـنن أبي داود ت الأرنؤوط (2/ 592)، مسـند أحمد مخرجاً (11/ 404)، سنن الترمذي ت شاكر (5/ 177).

فعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ:

(مَنْ قَرَأَ حَرْفًا مِنْ كِتَابِ اللهِ فَلَهُ بِهِ حَسَنَةٌ، وَالحَسَنَةُ بِعَشْرِ أَمْثَالِهَا، لَا أَقُولُ الم حَرْفٌ، وَلَكِنْ أَلِفٌ حَرْفٌ وَلَامٌ حَرْفٌ وَمِيمٌ حَرْفٌ)،

قال الترمذي: هذا حديثٌ حسنٌ صحيحٌ غريبٌ [1].

ووصف الله تبارك وتعالى القرآن الكريم بآيات كثيرة أخرى سنكتفي بذكر بعض منها لصعوبة حصر معانيها العظيمة في هذا المختصر اليسير...

قال تعالى في محكم تنزيله: ﴿هَذَا بَصَائِرُ مِنْ رَبِّكُمْ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ {سورة الأعراف 203}.

(1) (سنن الترمذي (175/5) / سنن ابي داوود (73/2) /مصنف ابن أبي شيبة (137/7).

﴿كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ﴾ {سورة ص 29}.

﴿الم * ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِلْمُتَّقِينَ﴾ {سورة البقرة 1-2}.

﴿وَلَقَدْ جِئْنَاهُمْ بِكِتَابٍ فَصَّلْنَاهُ عَلَى عِلْمٍ هُدًى وَرَحْمَةً لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ {سورة الأعراف 52}.

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَتْكُمْ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَشِفَاءٌ لِمَا فِي الصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ {سورة يونس 57}.

﴿فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنْزِلَ مَعَهُ أُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ {سورة الأعراف 157}.

﴿هَـذَا بَيَـانٌ لِلنَّـاسِ وَهُـدًى وَمَوْعِظَـةٌ لِلْمُتَّقِينَ﴾ {سـورة آل عمران 138}.

ومن دلائل فضـل هذا الكتاب العزيز أنَّ الله تعالى أقسـم به في مواضـع كثيرة من كتابه، فقال تعالى ﴿يس* وَالْقُرْآنِ الْحَكِيمِ﴾ {سورة يس 2} وقال ﴿ق وَالْقُرْآنِ الْمَجِيدِ﴾ {سورة ق 1}، وقال ﴿ص وَالْقُرْآنِ ذِي الذِّكْرِ﴾ {سورة ص 1}.

وفي القَسَمِ به دلالة بينة على تشريفه وتكريمه، لأن الله لا يقسم إلا بما هو عظيم.

وأَقْسَمَ الله تعالى على ما يبين به فضل القرآن الكريم وشرفه فقال تعالى: ﴿فَلَا أُقْسِمُ بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ * وَإِنَّهُ لَقَسَمٌ لَوْ تَعْلَمُونَ

عَظِيمٌ* إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ* فِي كِتَابٍ مَكْنُونٍ* لَا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ *تَنْزِيلٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ {سورة الواقعة 75 – 80}.

إن التفكر في معاني أسماء القرآن وصفاته وتأمل دلائلها العظيمة وآثارها المباركة يفتح للمؤمن أبوابا من اليقين النافع الذي يجد أثره في قلبه ونفسه ويعرّفه بفضله وعلو قدره وعِظَمِ شانه ويرغبه في تلاوته وتدبره وتعاهده واتباع هداه.

وهذه الصفات التي وصف الله بها كتابه الكريم من أعظم دلائل فضله.

الأحاديث التي وردت في فضل القرآن الكريم

لقد وردت أحاديث كثيرة في تبيان فضل القرآن الكريم وثواب تلاوة قراءته ومدارسته، مما يبين فضله في الدنيا والآخرة، والأجر العظيم الذي يناله صاحبه بتلاوته وحفظه وتدبره، منها ما رواه عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: (مَنْ قَرَأَ حَرْفًا مِنْ كِتَابِ اللهِ فَلَهُ بِهِ حَسَنَةٌ، وَالحَسَنَةُ بِعَشْرِ-

أَمْثَالِهَا، لَا أَقُولُ الم حَرْفٌ، وَلَكِنْ أَلِفٌ حَرْفٌ وَلَامٌ حَرْفٌ وَمِيمٌ حَرْفٌ) قال الترمذي هذا حديثٌ حسنٌ صحيحٌ غريبٌ [1].

ومنها ما رواه أبو هريرة رضي الله عنه قال: قال رسـول الله ﷺ:

(أَيُحِبُّ أحدُكم إذا رجع إلى أهله أن يجد فيه ثلاث خَلِفاتٍ عِظامٍ سمانٍ؟ قلنا: نعم، قال: فثلاث آياتٍ يقرأ بهنَّ أحدُكم في صلاته خيرٌ له من ثلاثِ خَلِفاتٍ عِظامٍ سِمانٍ) [2]

(1) (سنن الترمذي (5/ 175) / سنن ابي داوود (73/2) /مصنف ابن ابي شيبة (137/7).

(2) (سنن الترمذي (5/ 175) / سنن ابي داوود (73/2) /مصنف ابن ابي شيبة (137/7).

ومنها ما رواه عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: **(يقَالُ لصَاحِبِ الْقرْآنِ اقرَأْ وَارتَقِ وَرَتِّلْ كما كنْتَ ترَتِّلُ في الدّنْيَا فإن مَنْزلَكَ عنْدَ آخرِ آيةٍ تَقْرَؤهَا)** [1].

ومنها ما رواه عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه قال: أما إنَّ نبِيَّكُمْ قد قال: **(إنَّ اللهَّ يرْفَعُ بهذا الْكِتابِ أقْوَامًا ويَضَعُ بهِ آخرِينَ)** [2].

(1) (صحيح ابن حبان (43/3) /ومسند أحمد 6799 /وسنن الترمذي 2914/وسنن ابن ماجة3780).

(2) (صحيح مسلم (559/1) /ومسند أحمد (1 25)/وسنن ابن ماجة (79/1).

ومنها ما رواه أَنَسُ بن مَالِكٍ رضي الله عنه قال: قال رسول اللهِ ﷺ: ومنها **(إِنَّ للهِ أَهْلِينَ من الناس. قالوا: يا رَسُولَ اللهِ من هُمْ؟ قال: هُمْ أَهْلُ الْقُرْآنِ أَهْلُ اللهِ وَخَاصَّتُهُ)** [1].

ومنها ما روته عائشةُ رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ: **(الذي يَقرَأُ القُرْآنَ وهو ماهِرٌ بِهِ مع السّفَرَةِ الكِرَامِ البَرَرَةِ والذي يَقرَؤُهُ وهو عليه شاقٌّ فله أَجرَانِ)** [2].

(1) (مسند أحمد (242/3) / النسائي الكبرى (5 /17) /.سنن ابن ماجة (1 /78).

(2) صحيح مسلم (549/1) / رقم الحديث 798.

ومنها ما رواه عثمانُ رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال:(خيْرُكُمْ من تعَلَّمَ القُرْآنَ وعَلَّمَهُ» وفي لفظ: «إنَّ أَفضَلَكُمْ من تعَلَّمَ القُرْآنَ وعَلَّمَهُ)[1].

ومنها: أنَّ أبَا مُوسى الأشعريَّ قال: قال رسول اللهِّ ﷺ: **(مَثَلُ الَّذِي يَقْرَأُ القُرْآنَ: كَالأُتْرُجَّةِ طَعْمُهَا طَيِّبٌ، وَرِيحُهَا طَيِّبٌ، وَالَّذِي لاَ يَقْرَأُ القُرْآنَ: كَالتَّمْرَةِ طَعْمُهَا طَيِّبٌ وَلاَ رِيحَ لَهَا، وَمَثَلُ الفَاجِرِ الَّذِي يَقْرَأُ القُرْآنَ: كَمَثَلِ الرَّيْحَانَةِ رِيحُهَا طَيِّبٌ، وَطَعْمُهَا مُرٌّ، وَمَثَلُ الفَاجِرِ الَّذِي لاَ يَقْرَأُ القُرْآنَ: كَمَثَلِ الحَنْظَلَةِ طَعْمُهَا مُرٌّ، وَلاَ رِيحَ لَهَا)**[2].

(1) صحيح البخاري (6/ 192) سنن أبي داود (2/ 70) مسند أحمد مخرجا (1/ 472).

(2) صحيح البخاري (4 /1917) /وصحيح مسلم (549/1).

ومنها ما رواه عُقبَةُ بن عامِرٍ رضي الله عنه قال: خرَجَ رسول اللهِ ﷺ وقال: **(أفَلَا يغْدُو أحدكم إلى الْمَسْجِدِ فيَعْلَمُ أو يقْرَأُ آيتَيْنِ من كِتابِ اللهِ عز وجل خيْرٌ له من ناقتَيْنِ وثَلَاثٌ خيْرٌ له من ثلَاثٍ وأَرْبَعٌ خيْرٌ له من أرْبَعٍ ومِنْ أعْدَادِهِنَّ من الْإِبِلِ)**[1].

ومنها ما رواه أبو أُمامَةَ الْباهِلِيُّ رضي الله عنه قال: سمعت رسُولَ اللهِ ﷺ يقول: **(اقرأوا الْقرْآنَ فإنه يأْتِي يوم الْقِيامَةِ شفِيعًا لِأَصْحَابِهِ اقرأوا الزَّهْرَاوَيْنِ الْبقَرَةَ وسُورَةَ آلِ عِمْرانَ فإِنَّهُمَا تأْتِيَانِ يوم الْقِيامَةِ كأَنَّهُمَا غمَامَتَانِ أو كأَنَّهُمَا غيَايَتَانِ أو كأَنَّهُمَا فِرْقانِ من طيْرٍ صوَافَّ تُحاجَّانِ عن أصْحَابِهِمَا اقرأوا سُورةَ الْبقَرَةِ فإن أَخذَهَا برَكَةٌ وَتَركَهَا حَسرَةٌ ولا تَسْتَطِيعهَا البَطَلَةُ).**

(1) (سنن الترمذي (5/ 175) / سنن ابي داوود (73/2) /مصنف ابن ابي شيبة (137/7).

قال مسلم: قال معَاوِيَةُ بَلَغَني أنَّ البَطَلَةَ السّحَرَةُ[1].

ومنها ما رواه أبو هرَيْرَةَ رضي الله عنه عنِ النبي ﷺ قال: **(ما من قوْمٍ يَجْتَمعُونَ في بيْتٍ من بيُوتِ اللهِّ عز وجل يقرؤون ويَتَعَلَّمُونَ كتَابَ اللهِّ عز وجل يتَدَارَسُونَهُ بيْنَهُمْ إلاَّ حفَّتْ بِهِمُ الْملاَئكَةُ وَغَشيَتْهُمُ الرّحْمَةُ وذَكَرَهُمُ الله فيمَنْ عنْدَهُ وما من رجُلٍ يسْلُكُ طَريقاً يَلْتَمسُ بِهِ الْعلْمَ الا سهَّلَ الله له بِهِ طَريقاً إلى الْجَنَّةِ ومَنْ يُبْطئُ بِهِ عمَلُهُ لاَ يُسْرعُ بِهِ نسَبُهُ)**[2].

(1) صحيح مسلم (1/ 553) مسند أحمد مخرجا (36/ 546).

(2) (مسند أحمد ج2 ص406 /صحيح ابن حبان ج3 ص45/المعجم الكبيرج22 ص337).

ومنها ما رواه أبو هُريْرَةَ رضي الله عنه أنَّ رسُولَ اللهِّ ﷺ **قال: (لا تجْعَلُوا بُيُوتكُمْ مَقَابرَ إنَّ الشَّـيْطَانَ يَنْفرُ من الْبيْتِ الذي تُقْرأُ فيه سُورةُ الْبقَرَةِ)** [1].

ومنها نزول جبريل عليه السلم ليتدارس القرآن مع النبي ﷺ

في رمضـــان: **(عنِ ابن عبَّاسٍ قال كان رســول اللهِّ ﷺ أجْوَدَ الناس وكان أجْوَدَ ما يكُونُ في رمَضَــانَ حين يلْقَى جبْرِيلَ وكان جبْرِيلُ يلْقَاهُ في كل ليْلَةٍ من رمَضَــانَ فَيُدَارسُــهُ القُرْآنَ قال فلَرَسُولُ اللهِّ أجْوَدُ بالْخَيْرِ منَ الرّيحِ الْمُرْسلَةِ)** [2].

(1) صحيح مسلم (1/ 539) السنن الكبرى للنسائي ط-أخرى (5/ 13).
(2) (صـحيح البخاري (6/1) / صـحيح مسـلم (1803/4) /مسـند أحمد (288/1).

فهذه كلها أثار صحيحة ثابتة عن النبي ﷺ في ذكر فضل القرآن الكريم وأجر تلاوته وتدبره وتعلمه ومدارسته، فحريٌّ بنا نحن المسلمين الذين أُنزل علينا هذا الكتاب العظيم الذي حُفظ لنا من قِبَل الباري عز وجل، وعَظُم في كماله وبلاغته، وسَلم من النقائص والعيوب، وكمل بعدم المثيل له، أن نعتكف عليه تلاوة وحفظاً وتدبراً وتبليغاً، وأن نحفظ الآيات والأحاديث التي وردت في ذكر فضله، لنستشعر عظمته دائماً، ويصاحبنا الأجر الوارد فيه دائماً بالاحتساب والرجاء.

تنبيه مهم:

مما يجدر التنبيه عليه بعد ذكر هذه الآثار الشريفة الصحيحة عن النبي ﷺ أن هنالك كثيراً من الأحاديث الضعيفة بل الموضوعة

المنتشـــرة في هذا الباب، والسبب في ذلك أنه من باب الفضائل، وهـذا البـاب هو التي دخـل منهـا الوضـــاعون إلى اختلاق الأحاديث وافترائها ونسبتها للنبي ﷺ، وهي كثيرة منتشرة[1].

والوضع في فضائل القرآن كثير ومتشعب، فلم يقتصر على نوع دون نوع، أو على جزئية دون جزئية، فقد اختلق الوضـــاعون أحاديث في فضـــل قراءة القرآن وتلاوته وفي شرف أهله وحملته وفي فضـــل ســـوره وآياته، وهذا الأخير أكثر الأنواع تعرضـــاً لاختلاق الأحاديث، كما نص على ذلك العلماء وحذروا منه، ونبهوا إلى ضرورة التفطن له والتثبت في الرواية في هذا الباب وغيره.

(1) (انظر: السـنة ومكانتها في التشـريع الإسـلامي ص83/والإسـرائيليات والموضوعات لأبي شهبة ص20).

بيان عظمة القرآن الكريم

تمهيد:

إنَّ من أظهر الدلائل البيّنة على فضل القرآن ما دلَّت عليه النصوص الصحيحة الصريحة من معاني عظمته، التي من تأمّلها وتفكّر في مظاهرها ولوازمها وآثارها في الدنيا والآخرة ازداد يقيناً بعظمة هذا القرآن وفضله، وأدرك به عظيم منّة الله تبارك وتعالى على هذه الأمة بما اختصّهم به من إنزاله، وأكرمهم

بتيسيره لهم ليهتدوا به، وأيقن أنّ الشرف كلَّ الشـــرف والرفعة والعزّة إنما تكون بـالإيمان بـه واتّبـاع هـداه، وأنّ لتلـك العظمـة مقتضــيات من العبودية لله تعالى، وهنالك وجوه أخرى لبيان عظمته، منها أنّ له فضــلاً على ســائر الكتب، وكونه المعجزة الخالدة لهذه الأمة، وأنّه عام في دعوته شامل في رسالته، وغيرها كثير...

وبيان كل أوجه التعظيم لا يسعه هذا المختصر، لذلك سنكتفي ببيان بعض منها هنا.

أولاً: فضل القرآن على سائر الكتب

من الأمور المقررة عند المسلمين أن القرآن الكريم له فضل وشرف على ما سبقه من الكتب المنزلة، بل ومنهم من جعل ذلك من باب الاعتقاد به والإيمان، وأن السلف رحمهم الله كانوا يعتقدون أن القرآن أفضل من سائر الكتب والآثار المأثورة في ذلك عنهم تدل عليه[1].

ودليل ذلك قوله تعالى: ﴿نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَذَا الْقُرْآنَ﴾ {سورة يوسف 3}.

وأيضاً الحديث الذي يرويه أبو هُرَيرَةَ رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال: (ما من الأَنْبِيَاءِ نبِيٌّ إلا أُعطِيَ ما مِثلهُ آمنَ عليه

(1) (مجموع الفتاوى (17 /39) وانظر ص18 من الجزء نفسه).

البَشَـرُ وإِنَّمَا كان الذي أوتيته وَحيًا أَوحَاهُ الله إلي فأَرْجُو أنْ أكُونَ أَكْثَرَهُمْ تابِعًا يوم الْقِيامَةِ)[1].

يقول ابن كثير في كتابه **فضـائل القرآن**: وفي هذا الحديث فضـيلة عظيمـة للقرآن المجيد على كـل معجزة أعطيهـا نبي من الأنبياء وعلى كل كتاب أنزله[2].

ومن الأدلة أيضاً الحديث الذي يرويه وَاثلَةُ بن الأَسقَعِ رضي الله عنـه عن النبي ﷺ أنـه قـال: (أعْطِيـتُ مكَـانَ التَّورَاةِ السَّـبعَ

(1) (صحيح البخاري في صحيحه 4696 (1905/4) / صحيح مسلم (134/1).
(2) (فضائل القرآن لابن كثير (1/ 12).

وَأعْطِيتُ مكَانَ الزَّبورِ المْئِينَ وَأعْطِيتُ مكَانَ الإنْجِيلِ المثاني وَفضِّلْتُ بِالْمُفَصَّلِ)[1].

المراد بالسبع: السبع سور طوال من القرآن، وهي من البقرة إلى سورة براءة.

والمئين: السور التي تلي الطوال، سُمِّيت بذلك لأن آياتها تزيد على مئة.

والمثاني: السور التي تلي المئين أي أن آياتها أقل من مئة.

(1) (مسند أحمد بن حنبل (4/ 107) وهذا لفظه /والطيالسي في مسنده (ص136) / والطبراني في الكبير (57/22).

المفصل: السور الي تلي المثاني، سميت بذلك لكثرة الفصل بين السور بـ " بسم الله الرحمن الرحيم "[1].

ومن خلال الأدلة السابقة نجد منها ما هو صريح الدلالة على التفضيل، مثل قوله تعالى "أحسن" وقوله عليه الصلاة والسلام "أفضل" وأيضاً ما ذكر من حديث واثلة في التفضيل.

وأيضاً من أفضل ما يميز القرآن الكريم عن سائر الكتب وما شرفه بها على سائر الكتب هو حفظه سبحانه له من التبديل والتحريف إلى قيام الساعة، قال تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ {سورة الحجر 9}.

(1) (انظر: جامع البيان ج1ص45/وجمال القراءة ج1ص185/وتفسير القرآن العظيم ج7ص371).

يقول القرطبي في تفسيره: ﴿إِنَّا نَحْنُ نزلْنَا الذِّكْرَ﴾ وهو القرآن ﴿وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ قال: وإنا للقرآن لحافظون من أن يُزاد فيه باطل، أو يُنقص منه ما هو منه من أحكامه وحدوده وفرائضه[1].

وقد جرت حكمة الله ورحمته سبحانه أن يكون الإسلام خاتم الأديان ورسوله خاتم الرسل عليهم جميعاً أفضل الصلاة والسلام، وكتابه خاتم الكتب المنزلة، فقد حفظ هذا الكتاب من أن تناله يد بتحريف أو تبديل ليكون هذا الدين باقياً إلى أن يشاء الله تعالى.

(1) (انظر: جامع البيان ج1ص45/وجمال القراءة ج1ص185/وتفسير القرآن العظيم ج7ص371).

وقد كانت الرسالات السابقة خاصة بأقوام معينين كما في حديث جابرِ بن عبد اللهّ رضي الله عنهما قال:

قال رسول اللهّ ﷺ: (وكان النبي يُبْعثُ إلى قوْمِهِ خاصَّةً وبُعِثْتُ إلى الناس كافَّةً)[1].

فكانت الكتب التي تنزل على الأنبياء خاصة بهم تبعاً لخصوصية البعثة، فلم يكتب لها البقاء والخلود، فدخلها التحريف والتبديل، ومنها ما هو ضاع واندثر، ولما كان القرآن عامًّا للخلق كلهم جاء سادًّا مَسَدَّ تلك الكتب جامعاً لحقائقها وزيادة، فحفظه الله تعالى ليكون حجة على الناس إلى قيام الساعة.

(1) (انظر: جامع البيان ج1ص45/وجمال القراءة ج1ص185/وتفسير القرآن العظيم ج7ص371).

ثانياً: كونه المعجزة الخالدة لهذه الأمة

تحدى الله تعالى به الثقلين جميعًا – إنسَـــهم وجنَّهم – وأعجزهم أن يأتوا بمثل هذا القرآن أو الإتيان بسـورة مثل سُـوَرِهِ، أو حتى الإتيانِ بعشر آيات.

وتحدى به النبي ﷺ قريشـاً والعربَ جميعًا، وقال لهم: ائتوا بمثله أو بعشـــر سور مثلِهِ أو بسورة واحدة، تمامًا كما قال صالح عليه السـلام لقومه: ائتوا بناقةٍ مثل الناقة التي خرجت عليكم من الصخرة، لكن قريشاً عجزت وانقطعت كما انقطع أولئك.

قال تعالى: ﴿قُلْ لَئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَـذَا الْقُرْآنِ لَا يَـأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَـانَ بَعْضُـهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا﴾ {سورة الإسراء 88}.

وقال تعالى ﴿أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِثْلِهِ وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ {سورة يونس 38}.

ومن أوجه إعجاز القرآن الكريم:

الأول: ومن أعظمها أن التحدي والإعجازَ بالقرآن الكريم باقٍ إلى قيام الساعة.

الثاني: مجيء القرآن الكريم بهذا الأسلوب الفريد، والنظم البديع، والتأليف المتناسق، وعلى أرقى أنواع البلاغة، مع مغايرتِهِ لما أَلِفه العربُ مما يَطرَبون له كالشعر والسجع ونحوهما.

(ومن أشرف تلك المعاني التي فُضِّلَ بها الكتاب الكريم عن سائر الكتب قبله نظمه العجيب، ووصفه الغريب، وتأليفه البديع، الذي عَجَزت عن نَظْمِ مثل أصغرِ سورة منه الخطباءُ،

وكلَّت عن وصف شكل بعضه البلغاءُ، وتحيَّرت في تأليفه الشعراءُ، وتبلَّدت قصورًا عن أن تأتي بمثله أفهامُ الفهماءِ، فلم يجدوا له إلا التسليمَ والإقرارَ بأنه من عند الواحد القهار، مع ما يحوي مع ذلك من المعاني التي هي ترغيبٌ وترهيبٌ وأمرٌ وزجرٌ وقصصٌ وجدلٌ ومَثَلٌ وما أشبه ذلك من المعاني التي لم تجتمع في كتاب أُنزل إلى الأرض من السماء)[1].

الثالث: احتواؤه لما جاءت به الرسل جميعاً وزيادة، قال تعالى:

﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ﴾ {سورة المائدة 48}.

(1) جامع البيان في تفسير القرآن، المعروف بتفسير الطبري (85/1).

ولذلك استغنى القرآن الكريم عن الكتب السابقة.

الرابع: بقاؤه هذه القرون المتطاولة كما هو يوم أنزل، لم يطرأ عليه تغيير أو تبديل، ولم يقدر أحد على معارضته، فهو في حد ذاته من أعظم الإعجاز.

ثالثاً: ومن أوجه عظمة القرآن الكريم شموليته

ومن فضائل القرآن العظيم ومزاياه التي امتاز بها شمولية رسالته وعموم دعوته للثقلين إنسًا وجِنًّا على اختلاف أجناسهم وألوانهم، وتفاوت طبقاتهم، وتباعد أزمانهم، وتفرق أقاليمهم وبلدانهم، فالقرآن عالمي لأهل لأرض كلهم، والإيمان به واجب

على جميع الإنس والجن، كما هو الشأن في رسالة النبي محمد ﷺ وعمومتيها.

قال تعالى في بيان ذلك: ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ * لِمَنْ شَاءَ مِنْكُمْ أَنْ يَسْتَقِيمَ﴾ {سورة التكوير 27-28}.

ولفظ "العالمين" في هذه الآية والآيات التي وردت بها عامٌّ يشمل الإنس والجن ممن عاصر الرسول ﷺ أو جاء بعده[1].

وقال تعالى: ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ وَقُرْآنٌ مُبِينٌ * لِيُنْذِرَ مَنْ كَانَ حَيًّا وَيَحِقَّ الْقَوْلُ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾ {سورة يس 69-70}.

(1) (البحر المحيط لأبي حيان (480/6).

ولفظ "حَيًّا" هنا في الآية لفظٌ عامٌّ يشـمل كل حيٍّ مكلَّفٍ مهما كان جنسه أو لسانه أو لونه، وفي أي مكان أو زمان.

فالقرآن الكريم يتعدى في دعوته وخطابه الحدود، ويتجاوز الفوارق المميزة بين الناس حين ينادي المكلفين الذين اتخذهم القرآن له مخاطبين، فيناديهم بتلك التراكيب والتعبيرات العالميةِ الواسعةِ الدلالاتِ والمفاهيمِ على الرَّغم من ضيق الدائرة البشرية التي نزل القرآن فيها، فيأتي الخطاب بألفاظ عامة مثل:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا﴾، ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ﴾ ﴿يَا بَنِي آدَمَ﴾، ﴿يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ﴾ مما يعمّ كلَّ فردٍ من غير فرق[1].

(1) (انظر: جامع البيان ج1ص45/وجمال القراءة ج1ص185/وتفسير القرآن العظيم ج7ص371).

ومن شموليته: احتواؤه على علومٍ كثيرةٍ جدًّا يصعُبُ حصرها، منها علم العقائد وعلم أصول الدين والعلوم الدينية الفرعية، وهو الأصل في استنباط الأحكام والاستدلال عليها ويشتمل على علوم أخرى، وقد استطرد السيوطي في ذكرها في كتابه **معترك الأقران في أعجاز القرآن**[1]، ولا يُعرف في التاريخ كله كتابٌ درسه الدارسون وألَّف في علومه المؤلفون مثل القرآن الكريم، فهو كما قال ابن مسعود رضي الله عنه: إذا أردتم العلم فأثيروا القرآن، فإن فيه علم الأولين والآخرين[2].

(1) (انظر: جامع البيان ج1ص45/وجمال القراءة ج1ص185/وتفسير القرآن العظيم ج7ص371).
(2) (انظر: جامع البيان ج1ص45/وجمال القراءة ج1ص185/وتفسير القرآن العظيم ج7ص371).

ومن شـموليته: شـمولية في الإصـلاح والتربية، فقد اهتم بحاجات البشر ـ جميعًا، وبإصـلاح فئات المجتمع كلها، أفرادًا وجماعاتٍ، رجالًا ونسـاءً، وكيف يُصـلح دنياه وآخرته، ولم يقتصـر الإصلاح على المجتمع الأول الذين نزل في وقتهم، وإنما شـمل المجتمعات المتعاقبة التي أتت بعدهم إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها، فهو صالح لكل زمان ومكان[1].

فهذه نبذة مختصرة عن بعض جوانب شمولية القرآن العظيم، ولم تقتصـر شـمولية على شـمولية العلوم والخطاب والإصـلاح، وإنما جاءت في جوانب كثيرة يصـعب حصرـها هنا، ومقامها في المطولات، ولكن يمكننا القول: **إن القرآن شامل في شموليته.**

(1) (انظر: جامع البيان ج1ص45/وجمال القراءة ج1ص185/وتفسير القرآن العظيم ج7ص371).

فاجتماع هذه الصفات الجليلة في موصوف واحد دليل ظاهر على عظمته، ثم اتصافه في كل صفة من تلك الصفات بالعظمة، فيها دليل آخر على عظمة تملأ قلب من يتأمّلها؛ فيدرك أنّه لا يحيط بمعرفة أوجه عظمة هذا القرآن العظيم، لكنه يوقن أنّه عظيم في كل شيء، عظيم في بركته، عظيم في بيانه، عظيم فيما تضمنه من الهدى والرحمة والنور والبشرى، والذكر والذكرى، والشفاء والفرقان، والحق والتبيان، وكذلك سائر صفاته الجليلة العظيمة، كل صفة قد حاز هذا القرآن العظمة فيها.

وهذه العظمة لها لوازم يقتضيها الإيمان بها في قلب العبد المؤمن؛ فيعرف لـه قـدره ويعظّمـه في قلبـه، ويعظمـه إذا تحـدث عنـه، ويعظمه إذا تلاه، ويعظمه إذا تُلِي عليه[1].

قال تعالى: ﴿اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُتَشَابِهًا مَثَانِيَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ ذَلِكَ هُدَى اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ﴾ {سورة الزمر: 23}.

(1) (انظر: جامع البيان ج1ص45/وجمال القراءة ج1ص185/وتفسير القرآن العظيم ج7ص371).

فضل تلاوة القرآن الكريم

من دلائل فضـــل القرآن ما جعل الله لتاليه من الثواب العظيم والفضـــل الكبير، وما فتح له من أبواب الخيرات والبركات والتجارة العظيمة الرابحة:

قال الله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنْفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً يَرْجُونَ تِجَارَةً لَنْ تَبُورَ * لِيُوَفِّيَهُمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدَهُمْ مِنْ فَضْلِهِ إِنَّهُ غَفُورٌ شَكُورٌ﴾ {سورة فاطر 29-30}.

وصف الله لمن يتلوه حق تلاوته بالمؤمن، قال تعالى ﴿الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَتْلُونَهُ حَقَّ تِلَاوَتِهِ أُولَئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِ وَمَنْ يَكْفُرْ بِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾ {سورة البقرة 121}.

وعن عائشة قالت: قال رسول الله ﷺ: (الذي يَقرَأُ القُرْآنَ وهو ماهِرٌ بهِ مع السّفَرَةِ الكِرَامِ البَرَرَةِ والذي يَقرَؤُهُ وهو عليه شاقٌّ فله أَجرَانِ) [1].

ومن ثواب قراءة القرآن في الدنيا أنَّ تلاوته طمأنينة للقلب وسكينة للنفس ونور للصدر وجلاء للحزن وذهاب للهم، قال

(1) (انظر: جامع البيان ج1ص45/وجمال القراءة ج1ص185/وتفسير القرآن العظيم ج7ص371).

تعالى: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللهِ أَلَا بِذِكْرِ اللهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾ {الرّعد 28}.

وفسَّر ابن عباس الذّكر بالقرآن[1].

عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ مَسْعُودٍ قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يُعَلِّمُنَا هَذَا الدُّعَاءَ: «اللَّهُمَّ إِنِّي عَبْدُكَ، ابْنُ عَبْدِكَ، ابْنُ أَمَتِكَ، نَاصِيَتِي بِيَدِكَ، مَاضٍ فِيَّ حُكْمِكَ، نَافِذٌ فِيَّ قَضَاؤُكَ، أَسْأَلُكَ بِكُلِّ اسْمٍ سَمَّيْتَ بِهِ نَفْسَكَ، أَوْ أَنْزَلْتَهُ فِي كِتَابِكَ، أَوْ عَلِمْتَهُ أَحَدًا مِنْ خَلْقِكَ، أَوِ اسْتَأْثَرْتَ بِهِ فِي عِلْمِ الْغَيْبِ عِنْدَكَ، أَنْ تَجْعَلَ الْقُرْآنَ رَبِيعَ قَلْبِي، وَنُورَ صَدْرِي، وَجِلَاءَ حُزْنِي، وَذَهَابَ غَمِّي، إِلَّا أَذْهَبَ اللهُ غَمَّهُ

(1) (انظر: جامع البيان ج1ص45/وجمال القراءة ج1ص185/وتفسير القرآن العظيم ج7ص371).

وَأَبْدَلَهُ بِحُزْنِهِ فَرَحًا، قَالَ: فَقِيلَ: يَا رَسُولَ اللهِ، أَلَا نَتَعَلَّمُهَا؟ فَقَالَ: بَلَى، يَنْبَغِي لِمَنْ سَمِعَهَا أَنْ يَتَعَلَّمَهَا [1].

ومن ثواب تلاوته أنها تفتح عين البصيرة:

ومن ثواب تلاوته أن القارئ يتبصر به ويتعبر فيهديه إلى معرفة الله تعالى، ويذكره بآلائه ونعمائه، ويبصره بالصراط المستقيم والهدي القويم في جميع شؤونه، ويعلمه الاعتبار والتفكر والتبصر والتذكر والحكمة والسداد، وتعرف الأمثال التي ذكرت فيه والقصص الكثيرة المباركة بما حوَته من الدروس

(1) (انظر: جامع البيان ج1ص45/وجمال القراءة ج1ص185/وتفسير القرآن العظيم ج7ص371).

والمواعظ والعبر إلى غير ذلك من أنواع البصائر التي تحصل لمن أحسن تلاوة القرآن الكريم، قال تعالى:

﴿هُوَ الَّذِي يُنَزِّلُ عَلَى عَبْدِهِ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ لِيُخْرِجَكُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَإِنَّ اللَّهَ بِكُمْ لَرَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾ {سورة الحديد 9}.

وقال تعالى: ﴿هَذَا بَصَائِرُ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾ {سورة الجاثية 20}.

وللقرآن من أنواع البصائر والبينات ما يفتح للعبد أبواب الإيمان واليقين والحكمة، فإنه يرى الأمور بعين البصيرة وينظر إلى الأحداث كما يحب الله تعالى أن ينظر إليها، ولا تغره الظواهر التي تغر الجاهلين وتخدعهم، بل ينفذ بصره إلى حقيقة ما أراد الله، ويفقه سنن الابتلاء وعواقبه، ويعرف هدى الله فيما يعرض

له، فيتبع رضـوانه ويفوز بمحبته ومعيته الخاصـة، حتى ينال ما وعده الله من الكفاية وحسـن العاقبة، فصـاحب القرآن يتبع هدى الله الذي بيده ملكوت كلّ شيء وإليه عاقبة الأمور، فهو الذي يقدّر الأقدار ويُدبر الأمر ويتولى الجزاء، فتصـديق وعده واتباع ما بين من الهدى في كتابه الكريم يفضي بصـاحبه إلى العاقبة الحسنة.

ومن أنواع الثواب زيادة الإيمان والأجر بتلاوته والاستماع إليه، قال تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ﴾ {سورة الأنفال 2}.

روى عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال:

قال رسول الله ﷺ: **(مَنْ قَرَأَ حَرْفًا مِنْ كِتَابِ اللهِ فَلَهُ بِهِ حَسَنَةٌ، وَالحَسَنَةُ بِعَشْرِ أَمْثَالِهَا، لَا أَقُولُ الم حَرْفٌ، وَلَكِنْ أَلِفٌ حَرْفٌ وَلَامٌ حَرْفٌ وَمِيمٌ حَرْفٌ)**[1].

وسبق ذكر الأحاديث التي ذكرت الأجر في المبحث.

وما يقوم بتلاوته في قلب القارئ من أنواع العبادات القلبية من التصديق وزيادة اليقين والخشية والإنابة والرغبة والرهبة والصدق والإخلاص والتوكل والاستعانة وتعظيم حرمات الله وشعائره، كل ذلك مما يزيد به إيمانه ويتقرب به إلى ربّه، ويحصل

(1) (انظر: جامع البيان ج1ص45/وجمال القراءة ج1ص185/وتفسير القرآن العظيم ج7ص371).

من أنواع الحسنات ما يرتفع به مقامه عند ربّه في الدنيا والآخرة، فالقرآن يخاطب القلب وينمّي فيه هذه العبادات العظيمة، التي إذا صحّت في القلب صلح القلب وصلح بصلاحه سائر الجسد، وزيادة الإيمان من عاجل ثواب قارئ القرآن.

أهل القرآن وفضلهم

إنّ الله تبارك وتعالى رفع شـــأن أهل القرآن حتى جعلهم أهلَه وخاصـــتَه، وجعل خير هذه الأمّة من تعلم القرآن وعلَّمه، وقدّمهم على غيرهم في الإمامة في الصـــلاة، وفي التقديم عند مزاحمتهم في الإدخال في القبر، إلى غير ذلك مما شرَّفهم به ورفعهم به من الخصـــال التي لم يبلغوها إلا بفضـــل هذا القرآن، فكان تكريمُهم وتشـــريفُهم ورفعتُهم بالقرآن من الدلائل البيّنة على فضل القرآن.

فأهل القرآن هم: أولياؤه وأحبابه الذين يتلون القرآن ويعملون به، ويمتثلون أوامره وينتهون عن زواجره، ويقفون عند حدوده، ويؤمنون بمتشابهه، ويعملون بمحكمه، ويتعظون بمواعظه، هؤلاء هم أهل القرآن، وهم أهل الله وخاصته، وهم الذين يتلونه حق تلاوته، كما قال الله سبحانه: {الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَتْلُونَهُ حَقَّ تِلاوَتِهِ أُوْلَئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِ} {البقرة:121}.

أي يتبعونه حق اتباعه[1]؛ فالذي حفظ القرآن -كلَّه أو بعضه- وعمل بما فيه، وتأدب بآدابه، وأحل حلاله، وحرَّم حرامه، وتخلّق بأخلاق القرآن الكريم، واتصف به هو الذي ينطبق عليه حينئذ الوصف العظيم؛ ولهذا كان من صفات النبي عليه الصلاة

(1) (انظر: جامع البيان ج1ص45/وجمال القراءة ج1ص185/وتفسير القرآن العظيم ج7ص371).

والسلام أنه كان يتخلق بأخلاق القرآن الكريم، فما من خلق جاء في القرآن الكريم إلا وقد فعله النبي ﷺ.

فأما القراءة المجردة عن هذه الأمور، فإنها لا تجعل صاحبها من أهل القرآن وربما تكون وبالاً على صاحبها؛ كما جاء في الحديث عند مسلم: «وَالْقُرْآنُ حُجَّةٌ لَكَ أَوْ عَلَيْكَ».

يكون حجة لك إذا تلوته، وعملت بما فيه، وطبقت أحكامه، ووقفت عند حدوده.

قال الإمام الترمذي: وإنما يكون هذا في قارئ انتفى عنه جور قلبه وذهبت جناية نفسه، وليس من أهله إلا من تطهّر من الذنوب ظاهراً وباطناً، وتزيّن بالطّاعة، فعندها يكون من أهل

الله [1]، فقد روى مسلم عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنّه قال: أَمَا إنَّ نبيكم ﷺ قد قال: (إنَّ اللهّ يرْفَعُ بهذا الْكِتابِ أقْوَامًا ويَضَعُ بهِ آخرِينَ) [2].

وعن أبي مسعود الأنصاري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: (يؤمُّ القومَ أقرَؤُهم لكتابِ الله) [3].

(1) (انظر: جامع البيان ج1ص45/وجمال القراءة ج1ص185/وتفسير القرآن العظيم ج7ص371).
(2) (انظر: جامع البيان ج1ص45/وجمال القراءة ج1ص185/وتفسير القرآن العظيم ج7ص371).
(3) (انظر: جامع البيان ج1ص45/وجمال القراءة ج1ص185/وتفسير القرآن العظيم ج7ص371).

وعن عثمانَ رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال:

(خيْرُكُمْ من تعَلَّمَ القُرْآنَ وعَلَّمَهُ» وفي لفظ: «إنَّ أَفضَلَكُمْ من تعَلَّمَ القُرْآنَ وعَلَّمَهُ)[1].

وعن أنسٍ رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: (إِنَّ للهِ أَهْلِينَ من الناس. قالوا: يا رَسُولَ اللهِ من هُمْ؟ قال: هُمْ أَهْلُ الْقُرْآنِ أَهْلُ اللهِ وَخَاصَّتُهُ)[2].

لقد شرَّف الله تعالى أهل القرآن عمّا تركوه لأجله من متاع الدنيا وزينتها وملذاتها بأشرف العوض وأحسنه، وأثابتهم على

(1) (انظر: جامع البيان ج1ص45/وجمال القراءة ج1ص185/وتفسير القرآن العظيم ج7ص371).
(2) (انظر: جامع البيان ج1ص45/وجمال القراءة ج1ص185/وتفسير القرآن العظيم ج7ص371).

صـدقهم في تلاوته واتّباعه أجزل الثواب وأفضـله بأن سـمّاهم أهله، وفي تلك التسـمية الشرـيفة مع إبهام الجزاء -إبهام تعظيم وتفخيم- ما يملأ قلوبهم طمأنينة وثقة بعظيم فضله جلّ وعلا، فتذهب آمالهم كلَّ مذهب في كرمه جلّ وعلا، ثمَّ يعلمون أنّ ما لديه أعظم من أن تبلغه أمنياتهم أو أن يخطر على قلوبهم. اللّهم بلغنا هذه المرتبة وأجعلنا من أهل القرآن الذين يتلونه حقَّ تلاوته، الحافظين لحدوده، القائمين بأحكامه، المتَّبِعِين لهداه.

لزوم التّمسك بالقرآن الكريم واتّباع هديه

المسلم مطالب دائماً وأبداً بالتمسك بكتاب الله تعالى حق التمسك، وتطبيق ذلك في حياته الخاصة والعامة، وظهور آثار ذلك التمسك في سلوكه وتصرفاته.

ولكن الملاحظ -وبخاصة في عصرنا الحاضر- انصراف كثير من فئات المسلمين عن التمسك بكتاب ربهم تبارك وتعالى وإن أظهروا حبهم وتقديسهم له، إلا أنّ الواقع المعاش يغاير ذلك، ومن هنا كان الاختلال الواضح في حياة المسلمين أفراداً

ومجتمعات، الأمر الذي أوقع الوهن في حياة الأمّة على مختلف الأصعدة الدينية والدنيوية.

ولا ريب أن المتأمل في كتاب الله تعالى يجد الدعوة الصريحة الواضحة للتمسك بالقرآن الكريم، والآثار العظيمة التي سوف يجنيها الفرد والمجتمع من ذلك[1].

أرسل الله تعالى نبيه المصطفى ورسوله المجتبى محمداً ﷺ تسليماً كثيراً بخاتمة الرسائل وآخر الدعوات، وأنزل معه الكتاب الكريم ليكون للعالمين نذيراً، وهاديا ودليلاً، وسراجاً منيراً.

(1) (انظر: جامع البيان ج1ص45/وجمال القراءة ج1ص185/وتفسير القرآن العظيم ج7ص371).

وأمر الله تبارك وتعالى الناس بالتمسك بكتابه الكريم وحفظه والعناية به وعدم التفريط أو التهاون فيه، قال تعالى: ﴿فَاسْتَمْسِكْ بِالَّذِي أُوحِيَ إِلَيْكَ إِنَّكَ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ {سورة الزخرف 43-44}.

يقول ابن جرير الطبري في تفسيره للآية الكريمة: يقول تعالى ذِكرُه لنبيّه محمد: فتمسّك يا محمد بما يأمرك به هذا القرآن الذي أوحاه إليك ربك ﴿إِنَّكَ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ ومنهاج سديد، وذلك هو دين الله الذي أمر به، وهو الإسلام[1].

(1) (انظر: جامع البيان ج1ص45/وجمال القراءة ج1ص185/وتفسير القرآن العظيم ج7ص371).

قال الشهاب: هذا تسلية له وأمر لأمته أوله، بالدوام على التمسك[1].

وقال الحافظ ابن كثير في تفسيره لهذه الآية الكريمة: أي: خذ بالقرآن المنزل على قلبك فإنه هو الحق، وما يهدي إليه هو الحق المفضي إلى صراط الله المستقيم، الموصل إلى جنات النعيم والخير الدائم المقيم[2].

وتواردت نصوص العلماء على الأمر بالتمسّك بالقرآن العظيم والاستقامة عليه والدّعوة إليه والحذر مما يضاد ذلك كله،

(1) (انظر: جامع البيان ج1ص45/وجمال القراءة ج1ص185/وتفسير القرآن العظيم ج7ص371).
(2) (انظر: جامع البيان ج1ص45/وجمال القراءة ج1ص185/وتفسير القرآن العظيم ج7ص371).

وذلك راجـــع لسبب عظيم وهو أنَّ: **(القرآن الكريم هو كتاب الدعوة الإسلامية الشاملـــة للعقيدة والشريعة، والذي اشتمل على بيان العقيدة في صفائها، وعلى وضـــع أســـس التشريع في مختلف الجوانب التي تمس حياة العباد)**[1].

وكذلك اشـتمل القرآن العظيم على الحقائق الكاملة التي حارت الإنســانية واختلفت فيها، كما قال تعالى ﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَقُصُّ عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَكْثَرَ الَّذِي هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾ {سورة النمل 76}.

(1) (انظر: جامع البيان ج1ص45/وجمال القراءة ج1ص185/وتفسير القرآن العظيم ج7ص371).

واشتمل كتاب الله تعالى على إيضاح المنهج القويم الذي ينبغي أن يسير عليه المؤمن في حياته دون عوج أو اضطراب، كما قال تعالى ﴿لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا﴾ {سورة المائدة 48}.

وتضمن كتاب الله تعالى الإخبار عن أحوال الأنبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام وما جاءوا وأمروا به ونهوا عنه، كما قال تعالى: ﴿رُسُلًا مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾ {سورة النساء 165}.

وتضمن كتاب الله تعالى أيضاً الوعد والوعيد، والجزاء الحاصل على الأعمال في الحياة الدنيا ويوم يقوم الأشهاد، كما قال تعالى ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي

ارْتَضَـــــــى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾

{سورة النور 55}.

وفي الحقيقة إن دعوى التمسك بالقرآن العظيم تحتاج إلى براهين تدلّ على صدقها، وإلى مظاهر تؤكّدها وترشد إليها وأنّها ليست مجرد دعوى قيلت باللسان وجردت عن فحواها.

من مظاهر التمسك بالقرآن الكريم

أولاً: الإيمان به

ومقتضـــى هذا الاعتقاد الجازم الذي لا يخالطه شك ولا يمازجه ريب أن القرآن الكريم كلام الله تعالى، ووحيه إلى نبيّه محمد، لدعوة الخلق أجمعين.

كما قال تعالى: ﴿وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَذَا الْقُرْآنُ لِأُنْذِرَكُمْ بِهِ﴾ {سورة الأنعام 19}.

كما أن من لوازم الإيمان بالقرآن الكريم **الإيمان الجازم بكل ما جاء فيه**، واعتقاد أنه الحق والصواب، كما قال تعالى: ﴿وَلِيَعْلَمَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَيُؤْمِنُوا بِهِ فَتُخْبِتَ لَهُ قُلُوبُهُمْ وَإِنَّ اللَّهَ لَهَادِ الَّذِينَ آمَنُوا إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ {سورة الحج 54}.

أي أنَّ القرآن هو الحق النازل من عند الله تعالى فيؤمنوا به بالانقياد والخشية[1].

كما أن من مقتضيات الإيمان بالقرآن الكريم **الإيمان بمتشابهه**، قال تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ

(1) (انظر: جامع البيان ج1ص45/وجمال القراءة ج1ص185/وتفسير القرآن العظيم ج7ص371).

وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا﴾ {سورة آل عمران 7}.

يخبر تعالى أن في القرآن آيات محكمات هنَّ أمّ الكتاب، أي: بيّنات واضحات الدلالة لا التباس فيها على أحد، ومنه آيات أُخرى فيها اشتباه في الدلالة على كثير من الناس أو بعضهم، فمن رَدَّ ما اشتبه إلى الواضح منه وحكَّم محكمه على متشابهه عنده فقد اهتدى، ومن عكس انعكس[1].

(1) (انظر: جامع البيان ج1ص45/وجمال القراءة ج1ص185/وتفسير القرآن العظيم ج7ص371).

ثانياً: العمل به

ومقتضـــــى العمل بالقرآن، تنفيذ كل ما جاء في القرآن الكريم وذلك بتحليل حلاله، وتحريم حرامه، والالتزام الكامل بما دل عليه وأرشــد إليه، وعدم تجاوز ذلك أو مخالفته أو الزيادة عليه؛ لأن هذا من الكذب على الله تعالى، قال تعالى: ﴿وَلَا تَقُولُوا لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ الْكَذِبَ هَذَا حَلَالٌ وَهَذَا حَرَامٌ لِتَفْتَرُوا عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ إِنَّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ * مَتَاعٌ قَلِيلٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ {سورة النحل 116- 117}.

ثالثاً: قراءته وتدبره

ومعنى ذلك المداومة على قراءة القرآن الكريم وعدم هجره، مع تدبر معانيه وتأمل مراميه، والعلم بعقائده ومعرفة أحكامه وشرائعه، قال تعالى: ﴿وَقَالَ الرَّسُولُ يَا رَبِّ إِنَّ قَوْمِي اتَّخَذُوا هَذَا الْقُرْآنَ مَهْجُورًا﴾ {سورة الفرقان 30}.

لقد كان المشركون إذا تُلِي عليهم القرآن أكثروا اللغط والكلام في غيره حتى لا يسمعونه، فهذا من هجرانه، وتركُ الإيمان به وترك تصديقه من هجرانه، وترك تدبره وتفهمه من هجرانه، وترك العمل به وامتثال أوامره واجتناب زواجره من هجرانه،

والعدول عنه إلى غيره من شعر أو قول أو غناء أو لهو أو كلام أو طريقة مأخوذة من غيره من هجرانه[1].

وقال تعالى: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا﴾ {سورة النساء 82}.

وقال سبحانه: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا﴾ {سورة محمد 24}.

أي: فهلّا يتدبر هؤلاء المعرضون لكتاب الله ويتأملونه حق التأمل، فإنهم لو تدبروه لدلهم على كل خير ولحذرهم من كل شر، ولملأ قلوبهم من الإيمان وأفئدتهم من الإيقان، ولأوصلهم

(1) (انظر: جامع البيان ج1ص45/وجمال القراءة ج1ص185/وتفسير القرآن العظيم ج7ص371).

إلى المطالب العالية والمواهب الغالية، ولبيَّن لهم الطريق الموصلة إلى الله وإلى جنته ومكملاتها ومفسداتها، والطريق الموصلة إلى العذاب وبأي شيء يحذر، ولعرَّفهم بربهم وأسمائه وصفاته وإحسانه، ولشوقهم إلى الثواب الجزيل، ورهبهم من العقاب الوبيل.

وقوله تعالى: ﴿أَم عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا﴾ أي: قد أغلق على ما فيها من الإعراض والغفلة والاعتراض، وأقفلت فلا يدخلها خير أبداً[1].

(1) (انظر: جامع البيان ج1ص45/وجمال القراءة ج1ص185/وتفسير القرآن العظيم ج7ص371).

رابعاً: حفظه

والمقصود بذلك: حفظ القرآن في الصدور والسطور من الضياع أو الزيادة أو النقص أو الإهمال.

ولا ريب أنّ حفظ القرآن من أفضل الأعمال وأجلّها وأزكاها، وهو مظهر عظيم من مظاهر التمسك بالقرآن الكريم، ودليل على العناية والاهتمام به.

وحفظ القرآن الكريم يتطلَّب من المسلم الإخلاص لله تعالى، وتصحيح النية، وحسن التوجه والقصد، وطلب العون من الله تعالى، مع تفريغ القلب من الشواغل، وبذل الأسباب واتخاذ المسببات المعينة على الحفظ.

ولا ريب أن الله تعالى قد تكفل بحفظ كتابه الكريم بقوله سبحانه: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ {سورة الحجر 9}.

يقول الخازن في تفسير هذه الآية الكريمة ما ملخصه:

﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ﴾ يعني القرآن أنزلناه عليك يا محمد، ﴿وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ الضمير في (له) يرجع إلى الذكر، يعني: وإنّا للذّكر الذي أنزلناه على محمد لحافظون، يعني: من الزيادة فيه، والنقص منه، والتغيير والتبديل والتحريف، فالقرآن العظيم محفوظ من هذه الأشياء كلّها لا يقدر أحد من جميع الخلق من الجن والإنس أن يزيد فيه أو ينقص منه حرفاً واحداً أو كلمةً واحدةً، وهذا مختص بالقرآن العظيم بخلاف سائر الكتب المنزلة، فإنّه قد دخل على بعضها التحريف والتبديل والزيادة

والنقصان، ولما تولَّى الله عز وجل حفظ هذا الكتاب بقي مصوناً على الأبد محروساً من الزيادة والنقصان.

وقيّض الله له العلماء الراسخين يحفظونه، ويذبون عنه إلى آخر الدهر[1].

ولا ريب أنّ من الوسائل المفيدة لحفظ القرآن في الصدور انتشار حلقات تحفيظ القرآن الكريم في المساجد، وتربية الناشئة على ذلك، وتنشئتهم عليه منذ الصغر.

ومن وسائل حفظه كذلك إنشاء المدارس والأقسام والكليات التي تعنى بالقرآن الكريم وعلومه والدراسات المتعلقة به، وكذا

(1) (انظر: جامع البيان ج1ص45/وجمال القراءة ج1ص185/وتفسير القرآن العظيم ج7ص371).

أخرى تعنى بالدراسات المتعلقة بالقرآن الكريم كعلوم القراءات والتفسير.

أما طرق حفظ القرآن الكريم في السطور فإن وسائل الطباعة الحديثة، والتقنية العلمية المتطورة قد ساهمت في ذلك.

خامساً: احترامه وتوقيره، والخشوع والإنصات عند سماع القرآن الكريم

إنَّ من المظاهر الدالة على التمسك بالقرآن العظيم احترامه وتوقيره وعدم إهانته بأي حال من الأحوال معنوياً أو قولياً أو مادياً والإنصات عند سماع ذكر الله تعالى يتلى والخشوع واستجماع القلب والعقل بالتفكير والتدبر والخشوع الكامل له،

قال تعالى: ﴿وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنْصِتُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ {سورة الأعراف 204}.

فعندما ذكر الله تعالى أن القرآن بصائر للناس وهدى ورحمة، أمر تعالى بالإنصات عند تلاوته إعظاماً له واحتراماً[1].

ويقول الشيخ عبد الرحمن بن سعدي رحمه الله:

هذا الأمر عام في كل من سمع كتاب الله يتلى، فإنه مأمور بالاستماع له والإنصات، والفرق بين الاستماع والإنصات أن الإنصات في الظاهر بترك التحدث أو الاشتغال بما يشغل عن استماعه، وأما الاستماع له فهو أن يلقي سمعه، ويحضر قلبه،

(1) (انظر: جامع البيان ج1ص45/وجمال القراءة ج1ص185/وتفسير القرآن العظيم ج7ص371).

ويتدبر ما يستمع، فإن من لازم على هذين الأمرين حين يتلى كتاب الله فإنّه ينال خيراً كثيراً وعلماً غزيراً وإيماناً مستمراً متجدداً وهدى متزايداً وبصيرة في دينه.

ولهذا رتب الله حصول الرحمة عليهما، فدلَّ ذلك على أنّ من تلي عليه الكتاب فلم يستمع له ولم ينصت أنه محروم الحظ من الرحمة قد فاته خير كثير، ومن أوكد ما يؤمر مستمع القرآن أنّه يستمع له وينصت في الصلاة الجهرية إذا قرأ إمامه فإنّه مأمور بالإنصات [1].

(1) (انظر: جامع البيان ج1ص45/وجمال القراءة ج1ص185/وتفسير القرآن العظيم ج7ص371).

سادساً: الدعوة إليه

إنّ من عظيم مظاهر التمسك بالقرآن الكريم الدعوة إليه، وإلى ما تضمنه من العقائد والشرائع والأحكام والآداب والأخلاق، وإلى ما حث النظر إليه والتفكر فيه، وكذا إلى إخباره عن المغيبات وإلى ما كان وإلى ما سيكون، وإلى كل خير تضمّنه كتاب الله تعالى.

فالقرآن العظيم هو الكتاب الوحيد المعصوم الذي لا يأتيه الباطل من أي وجه من الوجوه كما قال تعالى عنه: ﴿لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾ {سورة فصلت 42}.

أي: ليس للبطلان إليه سبيل لأنه منزل من رب العالمين[1].

وقال الألوسي في روح المعاني: هذه صفة أخرى لكتاب، وقله تعالى {مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ} كناية عن جميع الجهات، كالصباح والمساء كناية عن الزمان كله، أي لا يتطرق إليه الباطل من جميع جهاته، وفيه تمثيل لتشبيهه بشخص حمي من جميع جهاته فلا يمكن أعداؤه الوصول إليه؛ لأنّه في حصن حصين من حماية الحق المبين[2].

(1) (انظر: جامع البيان ج1ص45/وجمال القراءة ج1ص185/وتفسير القرآن العظيم ج7ص371).
(2) (انظر: جامع البيان ج1ص45/وجمال القراءة ج1ص185/وتفسير القرآن العظيم ج7ص371).

والمتحصل من كلام المفسرين -رحمهم الله تعالى- في معنى الآية الكريمة: أنّ الله تعالى حافظٌ كتابَه الكريم من تطرق الباطل إليه بأي وجه من الوجوه في أي وقت من الأوقات وبأي شيء من الأشياء الباطلة الحسيّة أو المعنويّة، فهو كتاب مصون، محفوظ مكلوء بالعناية والرعاية الإلهية؛ لأنه تنزيل من الله تعالى الحكيم في كل أفعاله، الحميد في كل أموره وشؤونه.

سابعاً: الالتزام بمنهجه

إنّ قضية الالتزام بالمنهج مهمة جداً في أي أمر من الأمور، بل وفي حياة الأمم والشعوب. قال تعالى ﴿لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا﴾ {سورة المائدة 48}.

قال ابن عباس: شرعة: سبيلاً، ومنهاجاً: سنة. وبه قال مجاهد وعكرمة والحسن البصري وقتادة والضحاك والسدي وأبو إسحاق السبيعي، ثم قال ابن كثير رحمه الله: فإن الشرعة وهي: الشريعة، أما المنهاج، فهو: الطريق الواضح السهل، والسنن الطرائق.

وقيل المخاطب بهذه الآية هذه الأمة، ومعناه لكل جعلنا القرآن منكم أيتها الأمة شرعة ومنهاجاً، أي هو لكم كلكم تقتدون به، وحذف الضمير المنصوب في قوله ﴿لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ﴾ أي: جعلناه -يعني القرآن- شرعة ومنهاجاً أي: سبيلاً إلى المقاصد الصحيحة، وسنةً أي: طريقاً ومسلكاً واضحاً بيناً[1].

(1) (انظر: جامع البيان ج1ص45/وجمال القراءة ج1ص185/وتفسير القرآن العظيم ج7ص371).

والحاصل أنّه ينبغي على المسلم الالتزام بالمنهج القرآني في عقيدته وعبادته ومعاملته وأخلاقه وسائر شؤونه وتصرفاته، وذلك لأنه النهج الأمثل والأعلم وألاحكم والأسلم.

والمتأمل في منهج القرآن الكريم يجد الخير كل الخير، والسعادة الأبدية، والفضائل التي بحث عنها البشر فأعجزتهم، والكمالات التي تسمو بالإنسانية إلى مراتب عالية رفيعة، ناهيك عن العقيدة العظيمة، والشريعة الكاملة السوية، قال تعالى: ﴿ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَى شَرِيعَةٍ مِنَ الْأَمْرِ فَاتَّبِعْهَا وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ * إِنَّهُمْ لَنْ يُغْنُوا عَنْكَ مِنَ اللهِ شَيْئًا وَإِنَّ الظَّالِمِينَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَاللهُ وَلِيُّ الْمُتَّقِينَ * هَذَا بَصَائِرُ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾ {سورة الجاثية 18 – 21}.

ثامناً: التخلق بأخلاقه

إنَّ من مظاهر التمسك بكتاب الله تعال التخلق بالأخلاق الرفيعة التي حث عليها، والصفات النبيلة التي ندب إليها.

وكتاب الله تعالى كلّه خير وفضل وخلق كريم لمن أراد التخلق بأخلاقه والتأدب بآدابه، وكان ﷺ صاحب الخُلق العظيم، وقد أثنى ربه تبارك وتعالى عليه بهذه الصفة بقوله: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ {القلم: 4}.

وكانت جميع أخلاقه مستمدة من القرآن الكريم، فعن سعد ابن هشام قال: قُلْتُ: يَا أُمَّ الْمُؤْمِنِينَ أَنْبِئِينِي عَنْ خُلُقِ رَسُولِ اللهِ ﷺ،

قَالَتْ: (أَلَسْتَ تَقْرَأُ الْقُرْآنَ؟» قُلْتُ: بَلَى، قَالَتْ: «فَإِنَّ خُلُقَ نَبِيِّ اللهِ ﷺ كَانَ الْقُرْآنَ)[1].

والحقيقة أن أخلاق القرآن العالية ومسالكه الرفيعة تجل عن الوصف، فما من خلق كريم إلا ودل القرآن عليه وما من مسلك جميل إلا وأرشد القرآن إليه، ومن هنا كانت المنظومة الاجتماعية القوية التي أرسى دعائمها القرآن الكريم، وأحاطها بسياج من الخلق والأدب الرفيع، والتعامل الذي لا يوجد له مثيل. فهذه كلها في ذكر بعض حقوق القرآن على المسلمين[2].

(1) (انظر: جامع البيان ج1ص45/وجمال القراءة ج1ص185/وتفسير القرآن العظيم ج7ص371).
(2) (انظر: جامع البيان ج1ص45/وجمال القراءة ج1ص185/وتفسير القرآن العظيم ج7ص371).

فَحُق للقرآن على المسلمين كافة أن يؤمنوا به بأنه كلام الله تعالى، وأن يعظموه غاية التعظيم، ويتلوه بأحكامه وتجويده، وأن يتدارسوه ويتدبروه حق التدبر، فهو الذي أخرج أمة الإسلام من الظلمات إلى النور، وأن يتمسكوا به ويَعضوا عليه النواجذ، ويتبعوه حق الاتباع، بأن يطبقوا كل ما أمروا بتطبيقه فيه، ويجتنبوا كل ما نهوا عن فعله من خلاله، وينبغي على كل مسلم أن يعيش حياته على نهجه وأحكامه، ويقدم كل ما يستطيع في سبيل خدمة القرآن الكريم والدعوة إلى الله به، فهو الأمانة التي حمّلها الله تعالى للمسلمين عامة.

الخاتمة

ذلك هو القرآن وبعض ما جاء في ذكر فضائله وتبيان عظمته...

هذا الكتاب العظيم، اِقرأه وتدبره وتعاهده، فوراء كل كلمة منه حكمة بالغة وسر من أسرار السماوات والأرض، وحقيقة من حقائق الحياة والمصير، فيجب على الإنسان أن يتضرع إلى الله ويدعوه ويلح عليه أن يجعله من أهل القرآن، وأن يفتح عليه في فهم كتابه والعمل به وأن يجعله ممن قال عنهم: ﴿يَتْلُونَهُ حَقَّ تِلَاوَتِهِ﴾ {سورة البقرة 121} ، وأن يضع لنفسه ورداً يومياً لتلاوته،

وألا يُغلب عليه مهما كانت الظروف، والورد اليومي كما يقول أحد الصالحين في اليوم الأول يكون كالجبل وفي الثاني كنصف الجبل وفي الثالث كـــ "لا جبل" وفي الرابع يصبح مثل الغذاء الذي تتألم لفقده، ويعلم المتأمل في سير الصحابة إقبالهم وتكثيف جهودهم في القرآن، فيروى عن خباب بن الأرت رضي الله عنه أنه قال: "تقرب ما استطعت، واعلم أنك لن تتقرب إلى الله بشيء أحب إليه من كلامه"، وعن عثمان بن عفان رضي الله عنه قال: "لو أن قلوبنا طهرت لما شبعنا من كلام الله تعالى"، فتعلم من كلامهم ولسان حالهم الأهمية التي أعطوها للقرآن، فكانت من الأسباب التي فُضِّلوا فيها على من بعدهم، وكلّما تمسكت الأمة بكتاب ربها وسنّة نبيها كانت إلى ربها أقرب وعن غيرها من الأمم أفضل...

اللهم اجعلنا من أهل القرآن، اللهم اجعل القرآن أنيسنا في ليلنا ورفيقنا في نهارنا، والحمد لله رب العالمين حمداً كثيراً طيباً مباركاً فيه كما يحب ربنا ويرضى وكما ينبغي لجلال وجهه وعظيم سلطانه، حمداً يملأ السماوات والأرض وما بينهما وما شاء ربنا من شيء بعد على نعمه كلها ما علمنا منها ومالم نعلم، عدد ما حمده الحامدون وغفل عن ذكره الغافلون، وعدد ما جرى به قلمه وأحصاه كتابه وأحاط به علمه.

وصلى الله على عبده ورسوله محمد نبي الرحمة وإمام المتقين وسلم تسليماً كثيراً.

المصادر والمراجع

الهداية الى بلوغ النهاية، اسم المؤلف: أبو محمد مكي بن أبي طالب القيرواني ثم الأندلسي القرطبي المالكي، دار النشر: مجموعة بحوث الكتاب والسنة -كلية الشريعة والدراسات الإسلامية - جامعة الشارقة - 1429 هـ- 2008 م، الطبعة: الأولى، تحقيق: مجموعة رسائل جامعية بكلية الدراسات العليا والبحث العلمي.

التوحيد لابن منده، اسم المؤلف: أبو عبد الله محمد بن إسحاق بن محمد بن يحيى بن مَنْدَه، دار النشر: دار الهدى النبوي، دار الفضيلة - مصر، سورية - 1418-2007، الطبعة: الأولى، تحقيق: د. محمد بن عبد الله الوهيبي، د. موسى بن عبد العزيز الغصن.

خلق أفعال العباد، اسم المؤلف: محمد بن إبراهيم بن إسماعيل أبو عبد الله البخاري الجعفي، دار النشر: دار المعارف السعودية - الرياض - 1398 - 1978، تحقيق: د. عبد الرحمن عميرة.

الفصل للوصل المدرج في النقل، اسم المؤلف: أحمد بن علي بن ثابت البغدادي أبو بكر، دار النشر: دار الهجرة - الرياض - 1418، الطبعة: الأولى، تحقيق: محمد مطر الزهراني.

المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، اسم المؤلف: أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عطية الأندلسي، دار النشر: دار الكتب العلمية - لبنان - 1413هـ - 1993م، الطبعة: الاولى، تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد.

الجامع الصحيح سنن الترمذي، اسم المؤلف: محمد بن عيسى أبو عيسى الترمذي السلمي، دار النشر: دار إحياء التراث العربي - بيروت - -، تحقيق: أحمد محمد شاكر وآخرون.

المسند الصحيح المختصر من السنن بنقل العدل عن العدل عن رسول الله ﷺ، اسم المؤلف: مسلم بن الحجاج أبو الحسين القشيري النيسابوري، دار النشر: دار إحياء التراث العربي - بيروت -، الطبعة: تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي.

سنن أبي داود، اسم المؤلف: سليمان بن الأشعث أبو داود السجستاني الأزدي، دار النشر: دار الفكر - بيروت - -، الطبعة: تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد.

مسند الإمام أحمد بن حنبل، اسم المؤلف: أحمد بن حنبل أبو عبد الله الشيباني، دار النشر: مؤسسة قرطبة - مصر.

سنن ابن ماجه، اسم المؤلف: محمد بن يزيد أبو عبد الله القزويني، دار النشر: دار الفكر - بيروت تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي.

السنن الكبرى، اسم المؤلف: أحمد بن شعيب أبو عبد الرحمن النسائي، دار النشر: دار الكتب العلمية - بيروت - 1411 - 1991، الطبعة: الأولى، تحقيق: د. عبد الغفار سليمان البنداري، سيد كسروي حسن.

الجامع الصحيح المختصر، اسم المؤلف: محمد بن إسماعيل أبو عبد الله البخاري الجعفي، دار النشر: دار ابن كثير، اليمامة - بيروت - 1407 - 1987، الطبعة: الثالثة، تحقيق: د. مصطفى ديب البغا.

جامع البيان عن تأويل آي القرآن، اسم المؤلف: محمد بن جرير بن يزيد بن خالد الطبري أبو جعفر، دار النشر: دار الفكر - بيروت - 1405.

الجامع لأحكام القرآن، اسم المؤلف: أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي، دار النشر: دار الشعب - القاهرة.

صحيح مسلم بشرح النووي، اسم المؤلف: أبو زكريا يحيى بن شرف بن مري النووي، دار النشر: دار إحياء التراث العربي - بيروت - 1392، الطبعة: الطبعة الثانية.

تفسير روح البيان، اسم المؤلف: أبو محمد بدر الدين حسن بن قاسم بن عبد الله بن عليّ المرادي المصري المالكي، دار النشر: دار الفكر العربي – – 1428هـ – 2008م، الطبعة: الأولى، تحقيق: عبد الرحمن علي سليمان.

تفسير القرآن العظيم، المؤلف: أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (المتوفى: 774هـ) المحقق: سامي بن محمد سلامة، الناشر: دار طيبة للنشر والتوزيع، الطبعة: الثانية 1420هـ – 1999 م، عدد الأجزاء: 8.

تفسير القرآن (وهو اختصار لتفسير الماوردي)، المؤلف: أبو محمد عز الدين عبد العزيز بن عبد السلام بن أبي القاسم بن الحسن السلمي الدمشقي، الملقب بسلطان العلماء (المتوفى: 660هـ)، المحقق: الدكتور عبد الله بن إبراهيم الوهبي، الناشر: دار ابن حزم – بيروت، الطبعة: الأولى، 1416هـ/ 1996م.

تنوير المقباس من تفسير ابن عباس، ينسب: لعبد الله بن عباس – رضي الله عنهما – (المتوفى: 68هـ)، جمعه: مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروزبادي (المتوفى: 817هـ)، الناشر: دار الكتب العلمية – لبنان.

صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان، اسم المؤلف: محمد بن حبان بن أحمد أبو حاتم التميمي البستي، دار النشر: مؤسسة الرسالة – بيروت – 1414 – 1993، الطبعة: الثانية، تحقيق: شعيب الأرناؤوط.

المستدرك على الصحيحين، اسم المؤلف: محمد بن عبد الله أبو عبد الله الحاكم النيسابوري، دار النشر: دار الكتب العلمية – بيروت – 1411هـ – 1990م، الطبعة: الأولى، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا.

شعب الإيمان، اسم المؤلف: أبو بكر أحمد بن الحسين البيهقي، دار النشر: دار الكتب العلمية – بيروت – 1410، الطبعة: الأولى، تحقيق: محمد السعيد بسيوني زغلول.

البحر المحيط، لأبي حيان محمد بن يوسف الأندلسي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة الثانية عام 1411ه

24.البرهان في علوم القرآن لأبي عبد الله محمد بن عبد الله الزركشي، تحقيق د. يوسف بن عبد الرحمن المرعشلي وزميليه، دار المعرفة، بيروت الطبعة الثانية 1415هـ.

الصحاح "تاج اللغة" وصحاح العربية، لإسماعيل بن حماد الجوهري تحقيق أحمد عبد الغفور عطار، الطبعة الثانية 1402هـ.

فضائل القرآن ومعالمه وآدابه، لأبي عبيد القاسم بن سلام، تحقيق أحمد بن عبد الواحد الخياطي، نشر وزارة الأوقاف بالمغرب ،1415هـ.

النبأ العظيم، د. محمد عبد الله دراز، دار القلم، الكويت الطبعة الثانية عام 1390هـ.

تفسير القرآن العظيم، اسم المؤلف: إسماعيل بن عمر بن كثير الدمشقي أبو الفداء، دار النشر: دار الفكر - بيروت - 1401.

تفسير البغوي، اسم المؤلف: البغوي، دار النشر: دار المعرفة - بيروت، تحقيق: خالد عبد الرحمن العك.

تنوير المقباس من تفسير ابن عباس ينسب: لعبد الله بن عباس - رضي الله عنهما - (المتوفى: 68هـ) جمعه: مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروزبادي (المتوفى: 817هـ) الناشر: دار الكتب العلمية - لبنان عدد الأجزاء: 1.

صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان، اسم المؤلف: محمد بن حبان بن أحمد أبو حاتم التميمي البستي، دار النشر: مؤسسة الرسالة - بيروت - 1414 - 1993، الطبعة: الثانية، تحقيق: شعيب الأرناؤوط.

مسند ابن أبي شيبة، اسم المؤلف: أبي بكر عبد الله بن محمد بن أبي شيبة، دار النشـــر: دار الوطن - الرياض - 1997م، الطبعة: الأولى، تحقيق: عادل بن يوسف العزازي وأحمد بن فريد المزيدي.

شعب الإيمان، اسم المؤلف: أبو بكر أحمد بن الحسين البيهقي، دار النشر: دار الكتب العلمية - بيروت - 1410، الطبعة: الأولى، تحقيق: محمد السعيد بسيوني زغلول.

فضائل القرآن، اسم المؤلف: عماد الدين اسماعيل الشهير بابن كثير، دار النشـــر: دار المعرفة - بيروت / لبنان - 1407هـــ - 1987م، الطبعة: الثانية، تحقيق: لا يوجد.

البحر الزخار، اسم المؤلف: أبو بكر أحمد بن عمرو بن عبد الخالق البزار، دار النشر: مؤسسة علوم القرآن، مكتبة العلوم والحكم - بيروت، المدينة - 1409، الطبعة: الأولى، تحقيق: د. محفوظ الرحمن زين الله.

الكتاب المصنف في الأحاديث والآثار، اسم المؤلف: أبو بكر عبد الله بن محمد بن أبي شيبة الكوفي، دار النشر: مكتبة الرشد - الرياض - 1409هـ، الطبعة: الأولى، تحقيق: كمال يوسف الحوت.

فضائل القرآن الكريم، عبد السلام بن صالح بن سليمان الجار الله، دار التدمرية،1329هـ -2008م.

بيان فضائل القرآن، عبد العزيز بن داخل المطيري، معهد آفاق، ط1437هـ

فيض القدير شرح الجامع الصغير، زين الدين محمد المدعو بعبد الرؤوف بن تاج العارفين بن علي بن زين العابدين الحدادي ثم المناوي القاهري (المتوفى: 1031هـ) المكتبة التجارية الكبرى - مصر الطبعة: الأولى، 1356/ عدد الأجزاء: 6

شرح سنن ابن ماجة، عبد العزيز بن عبد الله بن عبد الرحمن الراجحي، مصدر الكتاب: دروس صوتية قام بتفريغها موقع الشبكة الإسلامية، [الكتاب مرقم آليا، ورقم الجزء هو رقم الدرس - 18 درسا].